أقبـــاط مسلمون



بقلم مهندس
فاضل سليمان

تقديم
د. محمد عمارة

نسخة مزيدة منقحة

BRIDGES
Foundation

إهداء

إلى جدي و أبي عرفانا بجميلهم

إلى زوجتي المربية الفاضلة و الزوجة الحمولة

إلى أنس و فاطمة الزهراء هذه هي مصر و هذا تاريخها

الفهرس

مقدمة أ.د. محمد عمارة

على امتداد رسالات السماء الى الارض، وعبر كل النبوات و الشرائع الإلهية، كان التوحيد و الأحدية للذات الإلهية هو جوهر الدين الإلهي في كل الشرائع و النبوات و الرسالات.

لقد تعددت الشرائع بتعدد و تنوع و اختلاف الأقوام .... و مراحل التاريخ .... والواقع الذي توالت عليه النبوات و الرسالات ... لكن ظلت:

- وحدانية الإله الخالق المعبود و أحديته.
- والإيمان بالغيب و الحساب و الجزاء.
- العمل الصالح في هذه الحياة الدنيا.

هي أصول الإيمان الديني في كل الشرائع و النبوات و الرسالات .. ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ [النساء 163–164].

فبالتوحيد جاء أبو الأنبياء إبراهيم الخليل –عليه السلام – ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴾ [الشعراء 75–77]. ﴿ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء67. ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف 26–27].

وبالتوحيد جاء كليم الله موسى – عليه السلام – : ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ النمل 9. ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه 14]. ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص: 30].

و بالتوحيد جاء المسيح عيسى بن مريم – عليه السلام– : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم: 30]. ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [مريم: 36]. ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: 72]

و بالتوحيد جاء الرسول الخاتم محمد بن عبد الله – عليه الصلاة و السلام– ....الذي بلغ التوحيد في دعوته ذروة التنزيه و التجريد ... فالله الواحد الأحد ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]. و كل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك ... و في هذه الشريعة الخاتمة و الخالدة كان الركن الأول و مفتاح الدخول الى الإسلام: "لا إله إلا الله" : ثورة تحرير لكل ملكات الإنسان و طاقاته من العبودية – أو التعظيم – لغير الله ..... أي ثورة عظمى لتحرير الإنسان بالتوحيد..

كما كانت عالمية الرسالة المحمدية ثورة لتوحيد للإنسان، مطلق الإنسان، واستخلاص وحدته من قيود العصبيات – عصبيات الألوان و الأجناس و الأقوام .. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد (4)﴾ الإخلاص 1–4. ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64]

فالتوحيد هو مفتاح الإسلام .. و هو عنوان الإخلاص .. و هو الكلمة السواء التي يمكن أن تجمع المتدينين بمختلف الشرائع و الرسالات.

لكن صراعا تاريخياً – شديداً و عنيفا – قد دار بين عقيدة التوحيد – التي زكتها الفطرة الإنسانية –... و التي شهدت و تشهد لها و بها العقلانية المؤمنة – و بين الوثنية المركوزة في طفولة

العقل البشرى، تلك التي تنزع الى التجسيد و التجسيم.. و الحلول.. و تبتعد عن التوحيد و التنزيه و التجريد....

وكثيراً ما غالبت هذه النزعات الوثنية عقيدة التوحيد فغلبتها – أو على الأقل غبَّشت نقائها وتنزيهها وتجريدها – .. وبالذات في مراحل طفولة العقل البشرى ، عندما كانت البشرية (خرافاً ضالة) .. تطلب المعجزات المادية المحسوسة .. وتميل إلى تجسيد المعبود في المحسوسات والمجسمات ..

نعم .. لقد غالبت هذه النزعة الوثنية المادية عقيدة التوحيد التي بشر بها موسى – عليه السلام – .. فعبد بنو إسرائيل – في حياة موسى – العجل الذهبي .. بل وأشربوا في قلوبهم تقديس هذا العجل الذهبي حتى الآن ! .. ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف آية 138]

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِين ﴾ [الأعراف 148]

وعندما دخل بنو إسرائيل أرض كنعان – غزاة – بقيادة يوشع بن نون.. أتى عليهم حين طويل من الدهر عبدوا فيه أصنام الكنعانيين وأوثانهم من دون الله الواحد الأحد ، الذي بشر به موسى – عليه السلام –.

وحتى عندما عاد التراث الديني اليهودي إلى التوحيد لله – سبحانه وتعالى – شابت هذا التوحيد – في هذا التراث – شوائب وثنية كثيرة.. جسدت الإله و جسمته... و شابهت بينه و بين المخلوقات.. كما جعلوه إلها خاصا ببنى إسرائيل من دون الشعوب الأخرى، التي قالوا إن لها آلهتها الاخرى !.. فكان الله – عندهم – إله القبيلة .. وليس رب العالمين كما جاء في شريعة موسى – عليه السلام – ! .

كذلك حدثت المغالبة، وحدث الصراع فيما طرأ على التعاليم النصرانية التي بشر بها المسيح عيسى بن مريم – عليه السلام –..

فبعد نقاء عقيدة التوحيد التي دعا إليها المسيح .. ذهب بولس فطوع التوحيد لوثنية الرومان .. وجعلهم يحلون المسيح محل الله .. ويعبدونه من دون الله .. فحل محل أوثانهم وأباطرتهم .. فكان تأليه المسيح .. وكانت عبادته بديلاً عن إفراد الواحد الأحد بالعبودية والربوبية والتأليه .. حتى لقد تفوقت هذه الوثنية الجديدة على وثنية الشرك الجاهلي ، التي كانت تفرد الله بالخلق ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان 25]. وتقف بالأوثان عند حدود "الوسائط .. والزلفي" التي تقرب إلى الخالق الواحد ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر 3]

تفوقت هذه الوثنية الجديدة – التي عدت على التوحيد في تراث النصرانية الرومانية عندما أحلوا المسيح محل الله، فقالوا عنه " إنه هو الله .. وهو في ذاته هو الله .. وهو ذات الله .. وأنه خالق كل شيء، وبه كان كل شيء، وبدونه لم يكن شيء.. وأنه خالق الأشياء ومالكها" . "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" [يوحنا 1 : 3.] " وهو الألف والياء، والأول والآخر" [رؤيا يوحنا 1 : 11]

ولقد أصاب فيلسوف الإسلام وإمام المعتزلة، قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني (415 هجرياً ، 1024 م) أصاب كبد الحقيقة عندما وصف هذا الانقلاب الذي حدث على نصرانية المسيح – عليه السلام – فقال :

"إن النصرانية عندما دخلت روما لم تتنصر روما، ولكن النصرانية هي التي ترومَّت . ! "

ولأن التدافع بين الحق والباطل هو سنة من سنن الله – في الكون .. والاجتماع .. والعقائد .. والأفكار – ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة 251]

فإن عقيدة التوحيد قد ظلت حية .. تجاهد لتغالب هذا الانقلاب الوثني الذي غبَّش نقاءها وأخرجها – في كثير من الأحيان– عن حقيقتها وجوهرها..

وفي هذا السياق .. سياق الدفاع عن نقاء التوحيد الديني .. نقرأ مواقف وأفكار وعقائد:

1- الفرقة البوليانية:

أتباع بولس السمساطي – أسقف أنطاكية – في القرن الثالث الميلادي .. تلك الفرقة التي رفضت تأليه المسيح – عليه السلام – وعبادته .. والتي أكدت على أن المسيح – في طبيعته – إنسان عادى .. ولد من أسفل، ولم ينزل من السماء وليس له وجود أزلي سابق ..

كما أنكرت تفسير " الكلمة " باللوغس Logos – أي بالتفسير الفلسفي الوثني ، الذي يجعل المسيح : كلمة الله .. عقل الله .. وقالوا : " إن اللوغس Logos أو الروح Spirit أو الحكمة Wisdom هو بالنسبة لله كالفكر بالنسبة للإنسان، ليس بذي وجود متميز أو شخصية منفصلة بذاتها .."

هكذا رفضت الفرقة " البوليانية " – التي تبلورت أفكارها وعقائدها في القرن الثالث الميلادي – الفكر الوثني الذي طرأ على العقائد النصرانية.. وأعادت النقاء إلى عقيدة التوحيد .

ولقد لخص الفيلسوف واللاهوتي اليعقوبي ابن العبري – أبو الفرج غريغوريوس – (623 – 685 هجري ، 1226 – 1286 م) – عقيدتهم في التوحيد ، فقال : إنهم يقولون : "إن جميع معلولات الله تعالى إرادية، وليس له معلول ذاتي البتة، ولذلك لم يلد ولم يولد، ولهذا لم يكن المسيح " كلمة " الله .. وإنما حصل الكمال بالاجتهاد . فكل من تعاطى رياضته نال درجته"[1]

كما لخص أبو البركات ابن كبر (724 هجري ، 1324 م) وهو قس وكاهن قبطي ، وعالم موسوعي كبير لخص عقيدة هذه الفرقة الموحدة ، فقال عنها : " إنها ملة تدعى " البولية " – و " البوليانيون " – وهي ملة بولس السمساطى – بطريرك أنطاكيا ، وهم الذين يؤمنون :

بأن الله إله واحد، جوهر واحد، قنوم واحد .

ولا يسمونه بثلاثة أسماء .

ولا يؤمنون بالكلمة أنها مخلصة، ولا أنها من جوهر الأب.

---

[1] ابن العبري (تاريخ مختصر الدول) ص 76 – طبعة بيروت سنة 1958 م – (والنقل عن : حسني يوسف الأطير (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ص 47- 49 طبعة مكتبة النافذة القاهرة سنة 2004 م)

ولا يؤمنون بالروح القدس المحيى .

ويقولون إن المسيح إنسان، خلق من اللاهوت مثل خلق آدم، وكمثل واحد منا في جوهره، وأن الابن ابتداؤه من مريم، وإن اصطفي بالموهبة ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي، وصحبته بعد ذلك النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة، لذلك سمى ابن الله " [2]

ولقد توالت – مع توالى قرون التاريخ النصراني – الفرق والدعوات والمذاهب التي تسعى لمغالبة الشرك والوثنية والتثليث .. وتدعو إلى العودة إلى عقيدة التوحيد أو الاقتراب من هذا النقاء ..

وفي هذا السياق، تحدث التراث والتاريخ النصراني عن :

2- الأبيونيين:

الذي جاء عنهم في كتاب (الدسقولية تعاليم الرسل) – الجامع لآراء واقتباسات الآباء الأول للكنيسة – :

" إنهم قومُ يظنون أن ابن الله إنسان " [3]

3- ومذهب مكدونيوس (351 – 360 م) :

– بطريرك القسطنطينية – الذي قال: إن الروح القدس غير مساو للأب والابن .. والذي ناقش أفكاره هذه ومذهبه مجمع القسطنطينية سنة 331 م [4]

4- ومذهب الراهب البريطانى بيلاجيوس Pelagius (360–420 م):

الذي أنكر الأسس العقائدية التي بنيت عليها عقيدة التأليه للمسيح.. والصلب.. والفداء.. وذلك عندما قال:

" إن الطبيعة البشرية لم تسقط وأنه لا أصل للقول بالفساد الموروث، وأن الإنسان قادر على عمل الصلاح، فلا يحتاج لإكماله إلى سوى الإرادة " [5]

---

[2] ابن كبر (مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة) ج1 ص 35 ، 36 – (والنقل عن (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية) ص 49 .

[3] (الدسقولية) فصل 21 / 2 – بتحقيق : د. وليم سليمان قلادة – (والنقل عن (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية) ص 41

[4] د. سليم نجيب (الأقباط عبر التاريخ (ص 44 – طبعة دار الخيال – القاهرة سنة 2001 م

[5] (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية) ص 155 ، 156

5- ومذهب النساطرة :

أتباع نسطور (380 – 451 م) الذي أنكر اتحاد اللاهوت بالناسوت في أحشاء مريم، وقال إنها لم تلد إلا إنساناً فقط .. وقال إن اتحاد اللاهوت بالشخص يسوع المولود من مريم إنما كان مجرد توافق في الإرادة فحسب ، وليس اتحاداً في الطبيعة..

ولقد ناقش مجمع إفسس مذهب النساطرة سنة 431 م [6]

6- ومذهب أوطاخى – أو أوطيخا – (454 م) :

الذي قال بأن لاهوت المسيح امتص ناسوته كما يمتص المحيط قطرة من الخل.

ولقد ناقش مجمع إفسس أفكار هذا المذهب سنة 449 م[7]

وهكذا توالت – على امتداد القرون الأولى للنصرانية – المذاهب والدعوات التي تحاول الانتصار لنقاء عقيدة التوحيد – التي جاء بها المسيح – عليه السلام – ، ومغالبة الوثنية التي صبغت بها الحضارة الرومانية تعاليم المسيح .. حتى جاءت أخطر هذه الدعوات من حيث القوة والانتشار – وهي دعوة :

7- آريوس (256 – 336 م) :

التي ذاعت وانتشرت عبر العالم المسيحي – منذ القرن الثالث الميلادي – وحتى القرن السابع – الذي أشرق فيه التوحيد الديني – في صورته المثلى – بشريعة الإسلام ..

- لقد تعلم آريوس على يد " لقيانوس " (235 – 312 م) – الذي كان أستاذ أنطاكيا الشهير .. كما أخذ عن " أوريجانوس " (185 – 253 م) الفيلسوف والمفكر الأشهر بالإسكندرية ..
- ثم رسم كاهناً بمصر سنة 310 م.

---

[6] المرجع السابق . ص 156 .

[7] (الأقباط عبر التاريخ) ص 44 ، 45 .

- ولأن آريوس كان داعية إصلاح للعقائد النصرانية ، من داخل الكنيسة – التي كانت تؤله المسيح .. وتعتمد الأناجيل التي كتبت في بعضها العبارات التي توهم بهذا الاعتقاد .. فلقد دعا آريوس إلى توحيد الذات الإلهية.

ذهب آريوس الى هذا "التصور المعدل" للعقيدة النصرانية، فقال : ان كلمة الله مخلوقة، مباينة للجوهر لذات الله ، لأنها عبارة عن العقل ، الذي هو المعلول الأول و هو أول ما خلق الله.. و صاغ للإيمان قانونا يقول :"إن الله جوهر أزلي أحد، لم يولد. و بحصر المعنى لم يلد: فكل ما سواه مخلوق ، حتى "الكلمة"، أو الابن . و الكلمة ، كغيره من الكائنات ، مخلوق من لا شيء، و ليس من جوهر الله في شيء ، و قد كان زمان لم يكن فيه "الكلمة" ،ثم كان ، بملء إرادة الله، لا بالضرورة. فليس إذن هو الله، و لا من جوهر الله ، بل هو متميز عنه أقنوما و طبعا.

و لقد راجت و انتشرت دعوة آريوس – الذي كان خطيبا بليغا – في كراسي سورية و الشرق.. و نصره وأيده أسقف قيصرية "أوسابيوس" (263 – 340 م) .. و أسقف نيقومادية... و لقد وجدت الآريوسية معارضة شديدة ، تزعمها – في مصر – الشماس اثناسيوس (295 – 373 م) – الذي أصبح فيما بعد أشهر اللاهوتيين في الكنيسة القبطية.. و لقد عقد لمناقشة الأريوسية مجمع سنة 319 م ، و لم يحقق شيئا .. ثم تلاه مجمع آخر – في الإسكندرية – سنة 321 م ، قرر عزل آريوس و مؤيديه.

و لبقاء النزاع العقدى دون حسم ، دعا الإمبراطور الروماني قسطنطين (324 – 337 م) إلى المجمع المسكونى في نيقية سنة 325 م ، فشجب مذهب آريوس ، و اعتمد قانون الإيمان الذي يؤله المسيح ، و يجعله من جوهر الله ... و الذي يقول: نؤمن ... برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل كل الدهور ، إله من إله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، له و للآب جوهر واحد ..

و من قال بأنه "كان زمان لم يكن فيه " و " أنه لم يكن قبل أن يولد " و " أنه صنع من لا شيء " ، أو من جوهر آخر " فليكن محروما"!.

و مع رفض هذا المجمع للآريوسية .. و تكريسه لعقيدة بولس الرومانية في تأليه المسيح ، على هذا النحو من التعدد و الشرك و الوثنية .. حكم – هذا المجمع – على آريوس بالحرمان الديني .. و بالنفي.

- و خلال السنوات العشر التي أعقبت هذا التاريخ – تاريخ انعقاد مجمع نيقية سنة 325 م – لم تتوقف الآريوسية عن المقاومة و الصمود و الانتشار.. فانعقد مجمع القدس سنة 335 م، الذي قرر العفو عن آريوس ، و قضى بنفي خصومه بدلا منه!.

و في أعقاب انعقاد مجمع القدس هذا ، توفي آريوس – سنة 336 م – في ظروف غامضة – و هو في طريق عودته من منفاه إلى القسطنطينية!.

و لقد قدر للآريوسية أن تنتشر بعد وفاة آريوس أكثر مما كان أثناء حياته، و أوشك العالم أن يكون آريوسيا – حسب قول الخصوم أنفسهم – لولا تدخل الأباطرة الرومان ، و العمل على محاربة تلك العقيدة ، و استئصال متبعيها .

- لكن الصراع ظل قائما في كنائس الدولة الرومانية ، بين الآريوسية التي تتعلق – على نحو ما – بالتوحيد.. و بين التثليث و التأليه للمسيح .. و بعد ثلاثين عاما من وفاة آريوس، أعاد الإمبراطور الروماني يوليانوس الجاحد (361 – 363 م) خصوم آريوس المنفيين، ليبدأ تصاعد الاضطهاد للآريوسية من جديد.. ثم دعا الإمبراطور ثيودوسيوس (379 – 395 م) – و هو من أنصار أثناسيوس – إلى عقد المجمع المسكوني في القسطنطينية سنة 381 م .. فكرست مقررات هذا المجمع قانون الإيمان الذي أقره مجمع نيقية سنة 325 م من جديد ![8]

---

[8] (دائرة المعارف)- بإشراف فؤاد أفرام البستاني- مادة "آريوس" – طبعة بيروت سنة 1956 م . و (عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام و المسيحية) ص 56 – 58 .

و بذلك نصر الأباطرة الرومان ، و المجامع التي عقدت تحت وصايتهم، و في الحواضر الرومانية – عقيدة بولس الرومانية في التثليث و تأليه المسيح .. و ظل الصراع قائما بين هذه العقيدة وبين عقيدة التوحيد – كما تصورها و بلورها الآريوسيون–....

و إذا كان الفكر الذي أشيع و روج له في الأدبيات الكنسية قد حاول تشويه الآريوسية ، و التعمية على تاريخها وتأثيراتها .. فإن وقائع الصراعات بين الكنائس النصرانية حول طبيعة الإله المعبود .. و الأدبيات التي تحدثت عن هذه الصراعات قد تناثرت فيها العبارات التي تشير إلى أن الآريوسية قد ظلت تفرض سلطانها في الكثير من مناحي العالم المسيحي حتى ظهور الإسلام – في القرن السابع الميلادي – و الذي وجد فيه الكثير من الآريوسيين ضالتهم المنشودة في نقاء عقيدة التوحيد ، فأسرعوا إلى الدخول فيه.

- و إذا شئنا إشارات من تلك الوثائق و الأدبيات التي تناثر فيها الحديث عن الآريوسية و الآريوسيين ، إبان ظهور الإسلام ، فإنا واجدون – على سبيل المثال – :

1- رسالة رسول الله محمد بن عبد الله – صلى الله عليه و سلم – سنة 7 هجري سنة 628 م – إلى هرقل (610 – 641 م) قيصر الروم .. و التي حذره فيها من استمرار اضطهاد الدولة الرومانية للآريسيين... فلقد جاء في هذه الرسالة :

"من محمد عبد الله و رسوله إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فعليك إثم الآريسيين..." [9]

2- و رسالة رسول الله – صلى الله عليه و سلم – إلى النجاشي – ملك الحبشة – سنة 6 هجري سنة 627 م – .. و التي أشار فيها الرسول إلى عيسى بن مريم – عليه السلام – بأنه " مخلوق" خلقه الله " كما خلق آدم " .. "و أشهد أن عيسى بن مريم ، روح الله و

[9] (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة) ص 50 – تحقيق : د. محمد حميد الله الحيدر آبادي . طبعة القاهرة سنة 1956 م.

كلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة المطهرة الطيبة الحصينة ، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده و نفخه "[10]

و لقد كانت الاستجابة الإيجابية– من قبل النجاشي – لهذه الرسالة النبوية شاهدا على أن النجاشي كان ممن يؤمنون بأن المسيح مخلوق – و هو مذهب الآريوسيين–.. و ليس "مولودا غير مخلوق" – كما كان الأمر في قانون الإيمان الذي وضعه مجمع نيقية سنة 325 م–...

3- و كذلك الحوار الذي دار بين النجاشي وبين المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ، فرارا من اضطهاد المشركين القرشيين...

فلقد بعثت قريش من يحرض النجاشي عليهم .. و أراد رسول قريش – يومئذ – عمرو بن العاص – أن يحرك غضب النجاشي ضد هؤلاء المسلمين المهاجرين ، فقال للنجاشي :

"إنهم يزعمون أن المسيح ابن مريم عبد".

فلما سمع النجاشي من هؤلاء المهاجرين –على لسان جعفر بن أبى طالب – قول القرآن في المسيح –كما جاء في صدر سورة مريم – و فيه –على لسان المسيح – ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ – [مريم: 30] – و كذلك : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم: 35–36].

لما سمع النجاشي ذلك – الذي قرره القرآن من أن المسيح عبد الله .. و أن الله – سبحانه وتعالى – ما كان له أن يتخذ ولدا –و بكى حتى اخضلت لحيته بدموعه ، و بكى أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم – (لأنهم كانوا يقارنون القرآن الذي سمعوه بما في "مصاحفهم" عن المسيح – عليه السلام –)..

و قال النجاشي – تعليقا على ما سمع من قول القرآن في المسيح :

---

[10] رفاعة الطهطاوي (الأعمال الكاملة) ج 4 ص 327 – دراسة و تحقيق : د. محمد عمارة . طبعة بيروت سنة 1977 م

"و الله، يا معشر القسيسين و الرهبان ، إن هذا الكلام و الذي أنزل على عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة "[11]

الأمر الذي يقطع بأن مذهب أهل الحبشة و ملكها – يومئذ – لم يكن مذهب الذين يؤلهون المسيح – عليه السلام – .. و يعتبرونه غير مخلوق .

4- و كتاب الأسقف المصري يوحنا النقيوسي – الذي كان شاهد عيان على الفتح الإسلامي لمصر – .. و الذي كان أحد إثنين هما أبرز أساقفة الكنيسة المصرية الأرثوذكسية يومئذ.. و الذي عاصر البابوات : يوحنا الثالث (677 – 686 م) و إسحاق (686 – 689 م) و سيمون الأول (689 – 707 م)– في هذا الكتاب – الذي كتبه أرثوذكسى، معادى للآريوسية –تناثرت الإشارات الدالة على الوجود الفاعل و الواسع للآريوسية – بمصر و الدول الرومانية – إبان الفتح الإسلامي لمصر حول منتصف القرن السابع للميلاد..

و على سبيل المثال .. يذكر النقيوسي الآريوسيين و يشير إليهم بعبارات من مثل:

- "تعليم الآريوسيين الأشرار"! [12]
- و المدح للملك أرقاديوس (395 – 408 م) الذي قضى على ثورة جايناس " الخارج على الشريعة و المنتمى لجماعة الأريوسيين الأنجاس "! [13]
- كما تناثرت في كتاب النقيوسي كلماته الغاضبة و الحانقة – و هو الأسقف الأرثوذكسى – على مسارعة الأريوسيين – مع بعض الوثنيين و الكاثوليك – الذين كانت بينهم و بين الأرثوذكس صراعات و ثارات – مسارعتهم إلى الدخول في الإسلام ، و الانضمام إلى الجيش

---

[11] المصدر السابق . ج4 ص 325.

[12] يوحنا النقيوسي (تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي)ص 120 – ترجمة و دراسة : د. عمر صابر عبد الجليل – طبعة عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية – القاهرة سنة 2000 م.

[13] المصدر السابق ص 123.

الإسلامي ، حتى قبل تمام الفتح الإسلامي لمصر ، و سقوط الإسكندرية بيد الفاتحين المسلمين.. فنراه يقول –مثلا – :

"والآن كثير من المصريين الذين كانوا مسيحيين كذبة ، أنكروا العقيدة الأرثوذكسية و المعمودية الحية ، و ساروا في عقيدة الإسلام ، .. و أخطأوا – مع هؤلاء الوثنيين – و أخذوا في أيديهم السلاح و حاربوا المسيحيين –(الرومان)– . و كان أحدهم ، و اسمه يوحنا الخلقدونى ، من دير سينا ، انضم إلى عقيدة الإسلام ، و ترك زيه الكنسي ، و اتخذ له سيفا ، و طارد المسيحيين المؤمنين بسيدنا يسوع المسيح"[14]

و في موطن آخر.. و مناسبة أخرى .. يقول النقيوسي :

"و عندما وصل هؤلاء المسلمون– (إلى حصن بابليون)– مع المصريين الذين جحدوا عقيدة المسيحية ، و انضموا إلى عقيدة هذا المفترس "!![15]

و في حديثه عن صلح عمرو بن العاص مع حامية حصن بابليون .. يذكر النقيوسي تسامح الإسلام مع سجناء ذلك الحصن المسيحيين .. و يذكر انتقام الأريوسيين من هؤلاء الأرثوذكس..

فعندما صالح عمرو بن العاص على تسلّم حصن بابليون ، كتب رسالة للجنود الذين كانوا به أن لا يقتلوا السجناء الأرثوذكس الذين كانوا مسجونين به – من قبل الرومان – .. و لكن تصفية حسابات الصراعات الدينية القديمة ، و الثارات المذهبية المتراكمة بين كل من الأريوسيين و الأرثوذكس ، جعلت الأربوسيين– الذين انضموا لجيوش الفتح الإسلامي – يقتلون – يوم عيد القيامة – السجناء الأرثوذكس.. و في ذلك يقول النقيوسي :

" و في يوم عيد القيامة المقدسة هذا أطلقوا المسجونين الأرثوذكسيين. و لم يتركهم أعداء المسيح النجسين الذين لوثوا الكنيسة بالعقيدة النجسة ، و ارتكبوا إلحاد و عصيان طائفة الأريوسيين .. بل أساءوا إليهم ، و قطعوا أيديهم و احتقروهم في هذا اليوم ، و ارتكبوا معهم ما لم يرتكب

---

[14] المصدر السابق ص 222.
[15] المصدر السابق ص 197.

مثله جماعة الوثنيين و البربر.. و لم نجد من يصنع مثل هذا ممن يعبدون الأصنام الكذبة .. و كانوا يظنون أنهم يكرمون سيدنا المسيح بعملهم هذا .. و يدينون الذين لم ينضموا إليهم في عقيدتهم الضالة"[16]

- كما يشير النقيوسي إلى حقيقة هامة أخرى – أغفل الإشارة إليها الكثير من المؤرخين – و هي أن مصر كانت تضم – إلى جانب الرومان الملكانيين الكاثوليك .. و إلى جانب الأريوسيين.. و الأرثوذكس – كانت تضم قطاعات واسعة من الوثنيين ، الذين بقوا على الديانة المصرية القديمة .. و الذين عاشوا و عانوا صراعات مريرة مع الأرثوذكس على وجه الخصوص..

فلقد احترف الأرثوذكس – الذين كانوا ضحايا الاضطهاد الروماني – قتل الوثنيين ، و سحل فلاسفتهم، و تدمير معابدهم ، و إحراق مكتباتهم .. و كنموذج على هذه الوحشية الأرثوذكسية ، يقول النقيوسي – معترفا و مباهيا–:

"وفي حكم تاودسيوس – (الثاني)– (408 – 450 م) امتلأ أهل الإسكندرية الأرثوذكسيين حماسا ، و جمعوا خشبا كثيرا و حرقوا مقر الوثنيين الفلاسفة ..و قامت جماعة المؤمنين بالرب مع الوالي بطرس ، الذي كان مؤمنا تماما لكل ما ليسوع المسيح ، و ذهبوا للبحث عن هذه المرأة الوثنية – "إباتيه " (370 – 415 م)– فوجدوها تجلس على كرسي –(التدريس في الأكاديمية)– فأنزلوها من الكرسي و سحبوها حتى أوصلوها إلى الكنيسة العظيمة التي تسمى قيسارية قيصرون، و كان هذا في أيام الصوم ، و نزعوا ملابسها ، و سحبوها حتى أحضروها إلى شوارع المدينة حتى ماتت ، و ألقوا بها في مكان يدعى نيكيتارون.

و كان كل الشعب يحيط بالبطريرك قيرلوس ، و يسمونه ثاوفيلوس الجديد ، لأنه أزال باقي الأوثان من المدينة"![17]

---

[16] المصدر السابق ص 204.
[17] المصدر السابق ص 125.

هكذا قاد البطريرك الأرثوذكسى قيرلوس جماهير المؤمنين الأرثوذكس في هذا العمل الوحشي ضد الفيلسوفة و عالمة الفلك – الجميلة – " إباتيه "!..

أما سلفه الذي كان قدوة له و مثلا أعلى في هذه الوحشية التي مارسها الأرثوذكسى ضد الوثنيين ، فهو – كما يقول النقيوسي – ثيوفيلوس (385 – 412 م)–.. و هو الذي استصدر سنة 391 م إذنا من القيصر "ثيودوسيوس" يقضى بتدمير أكبر و آخر محج للعلم القديم ، و هي أكاديمية الإسكندرية الكبرى (السيرابيوم)، و بتقديم 300 ألف لفافة طعما للنيران ، و بذلك تعرضت البشرية لأفدح خسارة في تاريخها .

و في القرن الخامس ، يعترف "آنيوشين"–صديق البطريرك "سيفيروس"–بأنهما كانا عضوين في مجموعة إرهابية مسيحية في الإسكندرية ،و أنهما قاما بمحاربة العلماء الوثنيين ، وبمهاجمة دور الثقافة ، و دمروا مكتباتهم و منشآتهم ، و اختفي بذلك ملاذ آخر من معاقل العلم الهلينى[18]

و لهذا التاريخ الدموي بين الأرثوذكس و بين الوثنيين .. أسرع هؤلاء الوثنيون – مثلهم مثل الأريوسيين – إلى الدخول في الإسلام – مع بدء الفتح الإسلامي لمصر – و إلى هذه الحقيقة يشير الأسقف يوحنا النقيوسي ، فيقول :

"و كان رجل اسمه ميناس ، عين من قبل هرقل على الوجه البحري .. و بعد أن أخذ المسلمون كل البلد أبقوه في وظيفته..

و عينوا رجلا اسمه سينودا في بلاد الريف. و آخر اسمه فيليكسانوس، عينوه في مدينة أرجاديا..

و هؤلاء ثلاثتهم يحبون الوثنيين ، و يكرهون المسيحيين ، و يضطرون المسيحيين أن يحملوا العلف للحيوان .. و اللبن و العسل و الفاكهة و الكراث ، و أعمال أخرى"[19]

---

[18] سيجريد هونكة (العقيدة و المعرفة) ص 24،25 – ترجمة :عمر لطفي العالم . طبعة دمشق سنة 1987 م

[19] (تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي)ص 212، 213.

كما يتحدث النقيوسي عن ولاة و قادة في جهاز دولة مصر الرومانية ، انضموا إلى الجيش الإسلامي الفاتح ، و قدموا له الكثير من الآليات و الأدوات التي أسهمت في انتصاره على جيوش الرومان المحتلين .. و في ذلك يقول :

" ... و عندما استولى المسلمون على فيوم و كل ضواحيها، أرسل عمرو –(بن العاص)– إلى أبا كيرى– (أبا قيرس)– حاكم دلاص – ليأتوا بسفن الريف لتنقل الإسماعيليين –(العرب المسلمين)– الذين كانوا غربي النهر إلى الشرق . و جمع إليه كل الجنود ليشنوا كثيرا من الحروب . و أرسل إلى جيورجيس الوالي ليشيد له قنطرة عند النهر بمدينة قليوب ، ليستولي على كل مدن مصر .. فأخذوا يعينون الإسلام "[20]

وهكذا تناثرت في كتاب النقيوسي الإشارات إلى "معالم الخارطة الدينية "التي كانت لمصر ، و الدولة الرومانية ، إبان الفتح الإسلامي لمصر – أوائل العقد الخامس من القرن السابع الميلادي – و كيف ضمت هذه "الخارطة " التيارات المتعارضة .. و المتصارعة .. من المسيحيين المختلفين حول طبيعة الإله المعبود .. و من الوثنيين المعادين للمسيحية بإطلاق .. وكيف وجد الوثنيون و الأريوسيون خلاصهم من الاضطهاد الأرثوذكسى و الروماني في اعتناق الإسلام ، فور الفتح الإسلامي لمصر ..

لكن الأسقف يوحنا النقيوسي – مع عدائه للآريوسيين و الوثنيين .. و مع سخطه على إسراعهم إلى الدخول في الإسلام – لم ينس الاعتراف بفضل الفتح الإسلامي على الأرثوذكسيين و الأرثوذكسية .. هذا الفتح الذي أنقذهم من الإبادة الرومانية .. و الذي جعل بقاء الكنيسة الأرثوذكسية و حياتها و استمرارها هبة من هبات الفتح التحريري للأوطان الشرقية و العقائد و

[20] المصدر السابق ص 195.

الضمائر في شعوب هذه الأوطان .. لقد حرر الإسلام سائر العقائد و المذاهب و الملل التي اضطهدها الرومان المحتلون و قهروا أهلها و ثقافاتها لعدة قرون .. و لم يقف تحريره فقط عند الآريوسيين.

نعم... لقد أشار الأسقف يوحنا النقيوسي إلى هذه الحقيقة التاريخية، عندما تحدث عن هذا الفتح الإسلامي – الذي أنقذ الأرثوذكسية من الإبادة الرومانية .. و أنقذ كنائسها و أديرتها من الاغتصاب الروماني .. و أعاد البطريرك الأرثوذكسى "بنيامي" (39 هجري 659 م) من الهرب و المنفي الذي استمر ثلاثة عشر عاما ..

اعترف النقيوسي بكل ذلك ، و أشار إليه ، فقال:

"إن الله الذي يصون الحق ، لم يهمل العالم ، و حكم على الظالمين ، و لم يرحمهم لتجرئهم عليه، و ردهم إلى أيدى الإسماعيليين .. و نهض المسلمون ، و حازوا كل مصر .. و كان هرقل حزينا .. و بسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مصر .. و بأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم .. مرض هرقل و مات .. و ساد المسلمون مصر .. و كان عمرو –(بن العاص) – يقوى كل يوم في عمله ، و يأخذ الضرائب التي حددها ، و لم يأخذ شيئا من مال الكنائس ، و لم يرتكب شيئا ما ، سلبا أو نهبا ، و حافظ عليها –(الكنائس)– طوال الأيام.."[21]

وتحدث النقيوسي عن أفراح الأرثوذكس بتحرير عمرو بن العاص للبطريرك "بنيامين" .. و تأمينه .. و تحرير كنائسهم وأديرتهم من الاغتصاب الروماني ، و ردها إليهم .. فقال :

"ودخل الأنبا بنيامين بطريرك المصريين مدينة الإسكندرية ، بعد هربه من الروم في العام 13. و سار إلى كنائسه، و زارها كلها .. و خطب في دير "مقاريوس" فقال :

لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة و الطمأنينة اللتين كنت أنشدهما ، بعد الاضطهاد و المظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون."

---

[21] المصدر السابق ص 201 ، 220.

و كان كل الناس يقولون : هذا النفي ،و انتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك . وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا "كيرس" – (البطريرك المعين من قبل الرومان).."[22]

ثم ختم النقيوسي شهادته بالاعتراف بالأمن و السلام الذي تحقق للأرثوذكس و مذهبهم و كنائسهم و أديرتهم .. الأمن و السلام الذي حققهما الفتح الإسلامي .. و كيف استراح الأرثوذكس – بشهادة الأسقف القديس يوحنا النقيوسي – من الصراعات التاريخية بينهم وبين الوثنيين و النصارى غير الأرثوذكس – الأريوسيين .. و الكاثوليك – .. الذين يسميهم " الهراطقة العصاة"!.. فقال:

"والآن ، نمجد ربنا يسوع المسيح ، و نبارك اسمه المقدس في كل وقت، لأنه نجانا ، نحن المسيحيين ، من ظلال الوثنيين الضالين و من عصيان الهراطقة العصاة حتى هذه الساعات"[23]

و إذا كانت وقائع ذلك التاريخ لم تترك لنا الأرقام التي تحدد تعداد كل مذهب من المذاهب التي كونت "الخارطة الدينية " لمصر .. كم كانت نسبة كل مذهب و ملة إلى مجموع سكان مصر –الذي كان يومئذ 2،500،000 نسمة – ؟.. فإن معدلات انتشار الإسلام بالدولة الإسلامية .. و معدلات انتشاره بمصر ، تشير إلى أن الأريوسيين و الوثنيين المصريين – الذين سارعوا للدخول في الإسلام فور بدء الفتح الإسلامي – قد كانوا يمثلون أغلبية سكان مصر يومئذ .. بينما كان الأرثوذكس – الذين صمدوا صمودا بطوليا أمام الاضطهاد الروماني – و الذين ظلوا على عقيدتهم –في الغالب – بعد الفتح الإسلامي – كانوا أقل من نصف سكان البلاد ..

لقد ظلت نسبة المسلمين في الدولة الإسلامية، بعد قرن من الفتح الإسلامي حول 20 %من سكان هذه الدولة .. بينما كان أهل مصر الأسرع و الأكثر في اعتناق الإسلام .

- لقد فتحت مصر سنة 20 هجرية سنة641م و كان سكانها 2.5 مليون نسمة.

---

[22] المصدر السابق ص 220.
[23] المصدر السابق ص 222.

- وعند نهاية خلافة معاوية بن أبى سفيان (60 هجرية 680 م) – أي بعد نصف قرن من الفتح الإسلامي –كان قرابة نصف المصريين لا يزالون على نصرانيتهم–إذ كان عدد النصارى 1،040،000 نسمة – أي أن أكثر من نصف سكان مصر قد دخلوا في الإسلام .
- و في نهاية عهد هارون الرشيد(193 هجري 809 م)– أي بعد مرور قرنين على الفتح الإسلامي –كانت نسبة الذين بقوا على نصرانيتهم – من السكان – نحو الربع – أي 650،000 نسمة من 2،671،000 نسمة هم تعداد مصر في ذلك التاريخ – أي أن نسبة من الأرثوذكس قد أخذت تتعرف على الإسلام ، و تدخل فيه .
- و في القرن التاسع الميلادي – أي بعد قرنين و نصف على الفتح الإسلامي – كانت نسبة غير المسلمين – نصارى و يهود – خمس السكان – أي 20% غير المسلمين .. و 80% مسلمين –..[24]

أي أن مصر من بين أقطار الدولة الإسلامية –كانت أسرع البلاد دخولا في الإسلام ، بسبب النسبة العالية بين سكانها الذين كانوا على مذهب الأريوسية .. و على الوثنية .. و الذين سارعوا – فور بدء الفتح – إلى الدخول في الإسلام .. كما شهدت بذلك نصوص الأسقف يوحنا النقيوسي – شاهد العيان على الفتح الإسلامي لمصر ..

و لم يكن الشرق وحده هو الذي انتشرت فيه الأريوسية – في القرون التي سبقت ظهور الإسلام – و إنما كان انتشارها عاما في الفضاء المسيحي الأوروبي ..

- ففي سنة 341 م – أي بعد خمس سنوات على وفاة آريوس – اختار الملك "أوزيت دي نيكوميدى "المبشر القوطي – الإسباني – "فولفيلا" ليكون مطرانا للنصرانية الأربوسية .. ثم دخلت هذه النصرانية الآريوسية إلى "إلّيرى" على نهر الدانوب .. و كذلك اعتنقتها أغلبية الشعوب الجرمانية .

---

[24] فيليب فارج ، يوسف كرباج (المسيحيون و اليهود في التاريخ الإسلامي العربي و التركي) ص 25، 46، 47 ترجمة بشير السباعي . طبعة دار سيناء. القاهرة سنة 1994 م

- و في شبه الجزيرة الأيبيرية – إسبانيا و البرتغال – القريبة من شمالي إفريقيا – الذي كانت تنتشر فيه الأريوسية – انتصر الملك "أوريك" سنة 476 م للآريوسية ، و قطع علاقاته بالإمبراطورية البيزنطية .. فانتشرت الأريوسية في شبه الجزيرة الأيبيرية ، و تدينت بها جماهيرها.
- وعندما ارتد الملك "ريكاريد" (586 – 601 م) سنة587 م عن الآريوسية – إلى التثليث و تأليه المسيح– ثار الآريوسيون ضده ، و ضد المسيحية المثلثة .. و استمرت هذه الثورة – في كاتالونيا و ناربونيز– على امتداد قرن من الزمان!.
- و عقب إحدى المجاعات ، قام المسيحيون المثلثة بتنصيب الملك "رودريك" ملكا على شبه الجزيرة الأيبيرية – التي يتدين شعبها بالأريوسية – .. و عندما غزا "رودريك" الأندلس – الجنوب – اصطدم بالمطران "أوباس" – مطران إشبيلية – فثار شعب الأندلس –الأريوسى – ضد الملك المثلث "رودريك"..
- و إبان هذه الثورة الأندلسية – الأريوسية – طلب السكان المساعدة من الأريوسيين – المتحدين معهم في المذهب و الاعتقاد – .. وطلبوها كذلك من مسلمي الريف المغربي – على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط – الذين حرر إسلامهم الأريوسيين في المشرق – و دعوهم إلى المساعدة في تحرير الأريوسيين بالجنوب الغربى لأوربا ! .. و هنا هب المسلمون – بقيادة طارق بن زياد سنة 92 هجري سنة 711 م لنجدة النصارى الآريوسيين – الموحدين – بالأندلس.
- و إبان معركة " غوادااليت" – قرب قادس – انضم مطران "أشبيلية" – الآريوسى – "أوباس" إلى الجيش المسلم .. و كذلك فعل أسقف "توليدو " – "سانديريد" – فتكررت نفس المشاهد.. انضمام الآريوسيين إلى الفتح الإسلامي – بمصر و المشرق .. و انضمامهم إلى الفتح الإسلامي للأندلس – و ذلك للطابع التحريري الذي مثله هذا الفتح الإسلامي لكل أصحاب العقائد و الديانات، و خاصة الذين وقعوا تحت القهر و الاضطهاد الروماني و البيزنطي.

تلك هي قصة الآريوسية ، التي حاولت الاقتراب من نقاء التوحيد الديني .. و التي خاضت صراعات طويلة و مريرة ضد عقائد التثليث و التأليه للمسيح عيسى بن مريم – عليه السلام –.

و إذا كانت هذه إشارات –مجرد إشارات– إلى صفحات من تاريخ التوحيد الديني .. و التدافع بين هذا التوحيد و بين غبش الوثنية الذي عدا على نقاء هذا التوحيد في التراث الديني السابق على ظهور الإسلام .. فإن القارئ سيجد في هذا الكتاب – الذي نقدم بين يديه – من الحقائق و الوقائع – التي تجاهلها الكثيرون .. و جهلها الأكثرون !– ما ينعش الوعى و الذاكرة بحقائق التوحيد التي غفل عنها و أغفلها هذا التاريخ ..

الأمر الذي يجعل من صفحات هذا الكتاب إسهاما متميزا .. يفتح الباب لمزيد من الإسهامات في هذا الميدان .

والله من وراء القصد .. نتوكل عليه .. و نسأله السداد و التوفيق

10 شعبان سنة 1430 هجري

1 أغسطس سنة 2009 ميلادي

دكتور / محمد عمارة

مدخل وتمهيد

الحمد لله مُنزلِ التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ، أرسلَ موسى وعيسى ومحمدًا عليهم أفضل الصلواتِ وأزكى التسليماتِ ليكونوا للناسِ مصابيح للهدى والخير.

وبعد:

أضع هذا الكتاب بين يدي القارئِ المسلمِ وغيرِ المسلم، المِصريِّ وغيرِ المِصريِّ، مؤكدا على حق كل إنسان في اعتناق ما يرى من عقائد، وممارسة ما يشاء من عبادات، وأمره إلى الله، هو يفصل بين الناس جميعًا يوم القيامة، يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17].

كما أؤكد على أهميةِ التعايشِ السلميّ بين الناسِ جميعًا من مختلفِ المِلَلِ والنِّحَلِ؛ على أساسٍ من الاحترامِ المتبادَل والتعاونِ من أجلِ صلاحِ المجتمعات، حيث إنه كما أنَّ الآمالَ مشتركةٌ؛ فالهمومُ والتحدياتُ أيضًا مشتركةٌ، فلا السرطانُ ولا الفقر ولا البِطَالَة يفرقون بين مسلمٍ ومسيحيّ.

ولا ينكر عاقلٌ وجود احتقانٍ بين المسلمين والمسيحيين، وخاصة في بلدي مصر، وهو ناتج عن تعصب كل طرفٍ ضدَّ الآخَر، فالمسيحيُّ ينظر للمسلمِ على أنه وافدٌ من جزيرة العرب، بينما هو – أي المسيحيُّ – صاحب البلد الأصليّ. والمسلمُ ينظر للمسيحيّ على أنه يحاولُ الاستقواء بالغرب للقفز على السُّلطة والسيطرة على زمام الأمور في الدولة وتحويلها لدولة مسيحية.

وأرى أن علاج هذا الاحتقان يكون بالحوار بين الطرفين على مستوى القواعد الشعبية، شريطة أن يبدأ هذا الحوار على أساسٍ صحيحٍ، يبدأُ من معرفة الحقائق التاريخية عن أوهامٍ طالما رددها الناس وصدقوها، فسببت العُقَدَ النفسية لدى كل طرف.

أصل هذا الكتاب هو رسالة ماجستير بعنوان (الدفاع عن النفس أحد دوافع فتح المسلمين لمصر)، وقد أشرف عليها فضيلة الدكتور/ إبراهيم نجم، وناقشها فضيلة الدكتور/ محمد عمارة، والدكتور/ عبد الله حكيم كويك حفظهم الله.

فأخي مُرْقُسُ – المِصريُّ المسيحيُّ – سيستريح عندما يَثْبُتُ له أن مصرَ لم تكن أبدًا دولةً مسيحيةً استولى عليها المسلمون وبدلوا دينها، وسيستريح عندما يَثْبُتُ له أن إخوته المِصريين المسلمينَ بملايينهمُ التي تقتربُ من التسعينَ؛ لا يمكن بأي حالٍ أن يكونوا أحفادَ بضعة آلافٍ من الجنودِ العربِ الذين بَقُوْا في مصر بعد الفتح.

وأخي حَسَنُ – المِصريُّ المسلمُ – سيستريحُ ويرفعُ رأسه عندما يَثْبُتُ له أن أجداده – في معظمهم – ليسوا من العرب الوافدينَ، ولا حتى مسيحيين تخلَّوْا عن مسيحيتهم إلى الإسلام، ولكنهم مِصريُّونَ موحدونَ، آمنوا بدين الإسلام قبل مولد النبيّ محمد بن عبد الله ﷺ بقرونٍ عديدة، وكان شعارهم (لا إله إلا الله، عيسى ابن مريم رسول الله) بشرٌ مخلوقٌ غيرُ إلهٍ، بل نبيٌّ ومُعَلِّم.

وإني لأرى أن في أكذوبةِ دخول المسيحيينَ في الإسلامِ تفاديًا لدفع الجزيةِ افتراءًا مُهينًا لإخوانيَ المسيحيينَ؛ قبل أن يكون افتراءًا على المسلمين، ارفع رأسكَ عاليًا أُخَيَّ المسيحيَ المِصريَّ؛ فإن أجدادك الذين صمدوا أمام الاضطهاد المذهبيّ الذي مارسه عليهمُ الرومانُ ليغيّرُوا مذهبهم من الأورثوذكسية إلى الكاثوليكية؛ هؤلاءِ لم يبيعوا دينهم تفاديًا لدفع الجزية وقدرها ديناران كلَّ عامٍ، وكانت تُفرضُ على الرجالِ القادرينَ على حملِ السلاحِ – فقط – دون النساء والأطفال والشيوخ.

ويكفي أن تعلمَ أن عَمْرَو بن العاص رضي الله عنه كان يجمعُ (12) مَليونَ دينارٍ كل عامٍ، بينما كان المُقَوقِسُ قبلهُ يجمع (20) مَليونًا للرومان، أي أن الضرائبَ قد خُفِّضَتْ عن كاهل المِصريينَ بواقعِ (40%). بل إن الخليفة الراشدَ عثمان رضي الله عنه اعترضَ اعتراضًا شديدًا عندما جمع واليه على مِصرَ عبدُ اللهِ بنُ أَبِي السَّرْحِ (14) مَليونًا؛ لأنه رأي في ذلك غِبْنًا على المصريين المسيحيين.

سيستريحُ حَسَنُ ومُرْقُسُ – على حَدٍّ سواءٍ – حينما يعلمانِ أنَّ من رفعَ الاضطهاد عن الأورثوذكس في مِصرَ، وأمَّنَ بَطْرِيَرْكَهُمُ؛ الأَنْبَا بِنْيَامِيْنُ، بل موَّلَ بناءَ الكنيسةِ المُعَلَّقَةِ في الإسكندرية من أموالِ الجِزْيَةِ هو عَمْرُو بنُ العَاصِ رضي الله عنه، ومن أرادَ دليْلًا فلْيَرجِع إلى ما قاله البَابَا شِنُوْدَةُ الثَّالِثُ؛ بَطْرِيَرْكَ الكِرَازَةِ المُرْقُسِيَّةِ السَابق.

أرجو أن ينظر إخواني المسيحيون لهذا الكتابِ نظرة موضوعيَّةً، وألا يدَّعِيَ أحدٌ أنني أهاجمُ المسيحيَّةَ، كيفَ ذلكَ وأنا أرى نفسي مسيحيًّا لاتباعي السيد المسيح، وموسويًّا لاتباعي موسى، وإبراهيميًّا لاتباعي إبراهيمَ، ومحمديًّا لاتباعي محمدًا؛ عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه، واختصارًا؛ أراني مُسلمًا موحِّدًا، شأني في ذلكَ شأنُ جميعِ الأنبياء والمرسلين.

إن شَراكةَ المسلمينَ والمسيحيينَ في مِصرَ تمتد عِشرينَ قرنًا من الزمانِ؛ لا أربعة عشر قرنًا فقط، وهذا ما سيثبته البحث إن شاء الله.

شبهة انتشار الإسلام بحد السيف:

من أكبر التهم التي وُجهت للإسلام على طول التاريخ هي أنه دين انتشر بحد السيف[25]، وكانت الفتوحات الإسلامية ذريعة كبرى لأعداء الإسلام لإثبات نظريتهم المسيئة للإسلام، وقد دأب المسلمون على دفع تلك التهمة بالتصريح بأنه دين السلام، وأن الحرب مأذون بها كاستثناء وليست هي الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، وبهذا قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وسَحْنُوْنُ مِنَ المَالِكِيَّةِ، ونُسِبَ لابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، وبه قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَةَ وابنُ القَيِّمِ، ومِنَ المُعَاصِرِينَ محمد رشيد رضا ومصطفي السباعيّ، وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول، منها قول النبي ﷺ: "لا تتمنوا لقاء العدو وسَلُوْا اللهَ العافيةَ، فإذا لقيتموهم فاصبروا"[26]، وحيث إن النبي ﷺ قد نهي عن الرغبة في الحرب وتمني لقاء العدو؛ فإن هذا يدلُّ

---

[25]. د. نبيل لوقا بباوي، انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة و الافتراء، دار البباوي للنشر القاهرة صفحة 7

[26]. صحيح البخاري دار الشعب سنة1958 ج 4 صـ 49 .

على أن حالةَ الحربِ حالةٌ طارئةٌ، لا يُشرعُ للمسلمِ أن يتمناها إلا إذا قامت أسبابها، وتوفرت دواعيها، كما أمر النبي ﷺ في هذا الحديث بسؤال الله العافية والسلامة، فإنْ قُدِّرَ للمسلم لقاءُ عَدُوِّهِ؛ فالمشروعُ حينئذٍ الصبرُ والثبات، وكل هذا يفيد أن الأصل في العلاقة مع الكفار هو السِّلْمُ[27].

وقد كان تبرير المسلمين على مر العصور للفتوحات الإسلامية هو أنها كانت لإزالة الطواغيت الذين كانوا عقبة في وجه انتشار الدعوة إلى الله، دون إجبار لأحد على اعتناق الإسلام، أي ما يسميه الفقهاء (جِهَادَ الطَّلَبِ)، يقول الدكتورُ القَرْضَاوِيُّ: "إن الدولة الإسلامية إذا استغاث بها هؤلاء المستضعفون المضطهدونَ ولو كانوا من غيرِ المسلمينَ؛ وكانت تملِكُ القدرةَ على إنقاذهم مما هم فيه؛ وجب عليها أن تستجيب لدعوتهم وتغيث لهفتهم إذا طلبوا نجدتها، فإن نصرةَ المظلوم وإعانةَ الضعيف وردعَ الظالم عن ظلمه؛ واجبٌ شرعيٌّ، بل هو واجبٌ أخلاقيٌّ في كلِّ دينٍ وكلِّ مجتمعٍ يقوم على الفضائلِ ورعايةِ القِيَمِ العليا، سواءٌ أكانَ المظلومُ مسلمًا أم غيرَ مسلم"[28].

هذا البحث يسعى لإثبات أن بعض الفتوحاتِ؛ وخاصةً فتوحاتِ بلادِ مصر وشمالِ إفريقيا والشامِ – البلادِ الواقعةِ تحتَ الحكم الرومانيّ قبلَ الفتحِ – لم تكن فقط لتعبيد الناس لله اختيارًا، وإزالة الطواغيت حتى تتاح لهم فرصة اختيار الدين بحرية، وإنما كانت دفاعًا عن النفسِ ودفعًا للظلمِ الواقعِ على المسلمينَ من أهل تلك البلاد الذين عانوا القتلَ والسَّجنَ والتعذيبَ على أيدي المؤمنين بالثالوث[29] (Trinity) طَوَالَ ثلاثِمِائةِ عامٍ قبل الفتح.

إشكاليةُ البحث: هي كيفية نفيِ تهمةِ انتشارِ الإسلام وفرضهِ بالقوة على أهل المناطق المفتوحة بالحرب، وذلك من خلال دراسة التاريخ الديني والسياسي لإحدى البلاد المفتوحة وهي مصر.

---

[27] . الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل في مقاله المنشور على صفحة علماء الشريعة بعنوان هل الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم السلم أم الحرب؟ /www.olamaashareah.net

[28] . د. يوسف القرضاوي من مقالة مفاهيم جهادية بحاجة لتصحيح www.islamonline.net

[29] . تعريف الثالوث طبقا للموسوعة البريطانية: في العقيدة المسيحية الثالوث المقدس هو اتحاد الأب والابن والروح القدس في إله واحد بثلاثة أشخاص.

افتراضية البحث: أن الدفاع عن النفس كان أحد أسباب فتح مصر، وذلك لوجود مسلمين بها واقعين تحت الاضطهاد.

يبدأ الباحث بتعريف لفظ "المسلم" وإثبات انطباق هذا التعريف على أتباع القَسِّ آريوسَ (Arius) في مصر والبلقان، وأتباع القَسِّ يوسوبياسَ (Eusebius) في آسيا الوسطى، وأتباع القَسِّ يُولْفِيلَسَ (Ulfilas) في غرب أُوروبا وشمالِ إفريقيا، وكلها مناطق كانت واقعة تحت الحكم الروماني حتى تاريخ الفتوحات الإسلامية، حيث تعرضت هذه المجموعات للقتل والتعذيب الشديد.

ثم يثبت الباحث استمرار وجود تلك المجموعات وعدم اندثارها حتى عهد الفتح الإسلامي، برغم تجاهل معظم كتب التاريخ المسيحي لوجودهم، ابتداء من منتصف القرن الخامس الميلادي.

ويثبت البحث اهتمامَ النبيِّ ﷺ الشديدَ بتحرير تلك المجموعات المؤمنة من نيران العذاب بمجرد انتهائه من تأمين جبهة الجزيرة العربية.

الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع:

أولًا: من واقع عمل الباحث في مجال الدعوة للإسلام في أمريكا وأُوروبا؛ فإن فكرة جهاد الطلب – أي إزاحةِ الطواغيت والعقبات التي تحول بين الناس وبين حرية العقيدة – نادرًا ما تكون مُفْحِمَةً للغربيين الذين يناظرون الدعاة أمام جمهورهم، بل كثيرًا ما تكونُ مَحَلَّ غَمْزٍ ولَمْزٍ، أما الدفاعُ عن النفس إذا ثبت؛ فإنه يكون مُفحِمًا لهم ومُقنِعًا لجمهورهم، ولا يرفضه إلا الشُّذَّاذُ من أمثال أتباع البهائية، وهي حركة نبعت من المذهب الشيعيّ الشَّيْخِيِّ سنة 1260هـ/ 1844م؛ تحت رعاية الاستعمار الروسي والإنجليزي واليهودية العالمية، ومن مبادئها: تحريمُ الجهادِ وحملِ السلاح[30].

---

[30] . الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي للنشر، الرياض سنة 2003 صـ409.

ثانيًا: ارتفعت في الآونة الأخيرة أصواتٌ عديدةٌ من مَسيحيِّيْ مِصرَ تدَّعي أنهم أصحاب البلد الأصليين، وأن المصريين المسلمين وافدون من الجزيرة العربية مع الفتح العربي(31)، ويثبت هذا البحث أن أجدادَ مُسلِمِيْ مصرَ همُ الآريوسيونَ الموحدونَ الذين كانوا يُمثلونَ فئة كبيرةِ من الشعب المصري قبل الفتح.

ثالثًا: نُدرةُ المصادر والبحوث الموجودة في موضوع تاريخ الآريوسيين في مصر وقت الفتح، باستثناء ذكرهم سريعًا في بعض الكتب، مثل (تاريخُ مصر) ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ، و(عقائدُ النصارى الموحدين) لحُسْنِيْ يُوسُف الأطْيَر، و(فتحُ العربِ للمغرب) للدكتور حُسَيْن مُؤْنِس.

أقباط موحدون:

حاول المؤمنون بالثالوث المقدس من المسيحيين بمختلف طوائفهم؛ إبعاد الآريوسية إلى دائرة النسيان، ولكنها كانت دائمًا تجد من يهتم بها عبر الزمان، بالرغم من محاولة تشويهها ووصفها بالهرطقة تارة وبالإلحاد تارةِ أخرى، وربما بالصفتين معًا في أحيانٍ كثيرة.

ولكن الباحثَ في التاريخِ المتعلمَ من أحداثِه وصراعاتِه؛ يعلم جيدًا أن المنتصرَ في الصراعِ هو الذي يكتبُ التاريخ، وبالتالي يُسَجِّلُ المنتصرُ المهزومَ على أنه شريرٌ أو زنديقٌ أو معتدٍ أو ملحدٌ أو صاحبُ هَرْطَقَةٍ، بينما يسجلُ المنتصرُ نفسَهُ على أنه صاحب الصراط المستقيم، المُحِقُّ الوحيد، حاميْ بَيْضَةِ الدِّينِ والعدلِ والحرية.

---

31 . مثل رجل الأعمال المسيحي المصري الشهير نجيب ساويرس في حواره مع لميس الحديدي مقدمة برنامج (مانع وممنوع) على شاشة التليفزيون المصري خلال شهر رمضان الكريم عام 1428هـ، إذ قال ردا على سؤال إن كان يشعر بأنه مواطن من الدرجة الثانية لكونه قبطي (وهي تسمية تطلق مجازا على المسيحيين المصريين)، قال: "نحن أصحاب البلد الأصليين".

وكذلك القمص المصري زكريا بطرس على برنامجه في قناة الحياة والمنشور على موقعه على الإنترنت www.islam-christianity.net في رده على مطالبة عمرو أديب بسحب الجنسية منه بسبب تهجمه على الإسلام وإثارته للفتنة الطائفية إذ قال: "أنا الجنسية المصرية في دمي، لأني مصري من أصل فرعوني، أما أنت روح شوف جدك مين يا عربي".

وقد سجل التاريخُ انتصارَ المُثَلِّثَةِ على النصارى الموحدينَ أو الملقبينَ بالآريوسيين، فوصف المثلثةُ أنفسهم بالأورثوذوكس[32]، ووصفوا خصومهم من النصارى الموحدين بالهراطقة، ولكنهم لم ينجحوا في مَحْوِ ذِكرهم أو مَحْوِ عقيدتهم نهائيًّا، فقد بُعث ذكرهم من جديد في القرن السادس عشر، بعد إعدام عالم الطب والجغرافيا مَايكِل سِرْفِيْتُوسَ (Michael Cervitos) حرقًا أمام أعين الجموع التي جاءت لمدينة جِنِيْفَ لمشاهدةِ تنفيذ حكم الإعدام يوم 27 أكتوبر عام 1553م؛ في ذلك الرجل الذي دَوَّخَ الكنيسةَ بكتاباته التي نادى فيها بالتوحيدِ، وأنكرَ التثليثَ وتأليهَ السيد المسيح عليه السلام. وقد أظهر هذا الرجل شجاعة غير مسبوقة، ورفض التنازل عن معتقداته أثناء محاكمته، كما رفض فرصة تخفيف حكم الإعدام نظير إعلانِ توبتِه ورجوعِه عن عقيدته التي ظل يدافع عنها، محرجًا بذلك رجال الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية وعلى رأسهم كالفن (Calvin)، فوصف عقيدة التثليث بالوحش المفترس وبأنها حُلْمٌ من أحلامِ القديس أوجوستين (Augustine)، وأنها من اختراع الشيطان، بل ووصف المؤمنين بها بالملاحدة[33]. فتسابقت حكومات أورُوبَّا لنيل شرف إعدامه على أراضيها، فأرسلت سلطات فيينا تشكر سلطات جنيف على النجاح في القبض عليه، وتتوسل إليها أن ترسله إليها لينال جزاءه ويُعدَمَ على أراضيها[34].

وقد كانت المفاجأة الكبرى عندما أعدموه حرقًا بينما كتابه "أخطاء الثالوث" حول وسطه؛ فإذا به يموت دون أن تأكلَه النارُ أو حتى تأتيَ على كتابه، بالرغم من محاولاتهم العديدة لتحويلِه وكتابِهِ إلى رمادٍ طِبْقًا لحكم المحكمة!

وخلال مائة عام؛ كانت هناك أكثر من خَمسِمِائةِ جماعةٍ من الموحدين المعروفين بالـ(Unitarians) في أُوروبا، خرج منهم إسحق نيوتن (Isac Newton) مكتشف الجاذبية

---

[32] . أورثوذوكس كلمة معناها المتمسكون بالعقيدة السليمة و الممارسات الدينية الصحيحة طبقا لتعاليم سلطات دينية. معجم وبستر الطبعة العالمية الثالثة، الولايات المتحدة، سنة2002 صـ432

[33] . آرثر فوكس: كتاب مايكل سرفيتوس، لندن 1913 صـ24-30

[34] . المرجع السابق صـ28

الأرضية، وجوزيف بريستلى (Joseph Priestly) مكتشف الأوكسجين وآخرون[35]، ولكنهم اضطُهِدوا كما اضطُهِد أسلافهم قبل ذلك بقرون وذبحوا كالخراف لأنهم تمسكوا بإنكار الثالوث، ويكفي ذكر مذبحة واحدة فقط قُتل فيها ثمانية آلاف موحدٍ في بريطانيا على رأسهم جون بيدل (John Biddle) الملقب بأبي التوحيد (The Father of Unitarianism) في بريطانيا عام 1662[36]، مما أدى لهروب الكثيرين منهم إلى المناطق الأوروبية الواقعة تحت الحكم العثماني، حيث مارسوا شعائرهم بحرية، وأسلم الكثيرون منهم لما رأوا في الإسلام استكمالًا للمسيرة الإيمانية التي بدأها أسلافهم، ومن أشهرهم الألماني آدام نيوزر (Adam Neuser)[37].

ويُقَدِّرُ جُون دَافِنْبُورْت (John Davenport) في كتابه "عذرًا محمد والقرآن"؛ عدد أتباع مذهب التوحيد (Unitarianism) الذين قتلوا عبر التاريخ باثني عشر مَليونًا[38]، أما الذين اجتذبتهم الهجرة إلى أمريكا؛ البلدِ التي ضَمِنَ دستوره حرية الاعتقاد للمستوطنين الجدد[39]؛ فقد ازدهروا ازدهارًا لم يكونوا يَحْلُمُونَ به، وخرج منهم أربعةٌ من رؤساءِ الوِلاياتِ المتَّحِدَةِ الأمريكية هم:

- الرئيس الثاني جون آدامز (John Adams).
- والسادس ابنه جون كوينسي آدامز (John Quincy Adams).
- والثالث عشر ميلارد فيلمور (Millard Fillmeor).
- والسابع والعشرون ويليام هاورد تافت (William Howard Taft)[40].

وخلال هذا البحث سنكشف الغطاء عن جذور النصارى الموحدين قبل ظهور خاتم الرسل، وعلاقتهم بالإسلام سواء في وقت النبي ﷺ أو بعد وفاته.

---

35 . ريتشارد ويستفال: كتاب حياة إسحق نيوتن، كمبريدج 1993 صـــ128

36 . عطاء الرحيم: عيسى نبي الإسلام، لندن 1977 صـ149

37 . ريلاند: أبحاث عن المحمديين صـ215 باقتباس من عطاء الرحيم صـ121

38 . سليمان إبراهيم: أصل الكتاب المقدس و نشأته، كيب تاون 2008 صـ44

39 بالرغم من الاضطهاد الديني للعبيد الأفارقة و إجبارهم على اعتناق المسيحية (د. عبدالله حكيم كويك)

40 . فرانكلين ستاينر: عقائد رؤساؤنا الدينية، ميلواكي 1936 ،الفصل الثالث بعنوان الرؤساء الموحدون

الفصل الأول

من خمسة فصول

تحرير معنى "المسلم"

الفصل الأول: تحرير معنى "المسلم"

الإسلام والدين:

لغويا: يقول الزبيدي رحمه الله في (تاجُ العروس):

"السَّلَمُ بفتح السين واللام؛ هو الاستسلام والاستخذاء والانقياد، والسِّلْمُ بفتح السين وسكون اللام؛ مِثْلُ السلامة والإسلام، والمراد بالسلام هنا الاستسلام والانقياد، ويجوز أن يكون من التسليم ومنه قول الله تعالى ﴿ادْخُلُوْا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ أي في الإسلام"[41].

فالإسلام وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارِهمُ المحمودِ إلى الخير بالذات، من مصدر: أسلمت الشيء إلى فلان إذا أخرجته إليه، وهو عين المعنى المراد بهذا اللفظ، حيث يُلزم الله تعالى عباده أن يُسلموا أنفسهم ظاهرًا وباطنًا لسلطانه الأعلى[42].

وجاء في (لسانُ العربِ) لابنِ مَنْظُوْرٍ رحمه الله: الإسلام؛ ومعناه إسلام الوجه لله سبحانه وتعالى، وعندما يقال: فلان مسلمٌ؛ ففيه قولان: أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثاني هو المخلص لله في العبادة من قلبه[43].

وعرَّفَ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد (الإسلامَ) بأنَّهُ "دين الله تعالى لعباده في كل العصور، لا يتغير منه شيء في العقائد والأخلاق، ويتحد كذلك في أصول العبادات والمعاملات"[44].

---

41 . انظر: الزبيدي في (تاج العروس) طبعة دار الفكر بيروت سنة 1994 . جـ16 صـ344

42 . د. عبد الستار فتح الله سعيد: المنهاج القرآني في التشريع، القاهرة 1992 صـ129

43 . ابن منظور، لسان العرب لدار الحديث 2003 ج4 صـ660

44 . د. عبد الستار فتح الله سعيد: المنهاج القرآني في التشريع، القاهرة 1992 صـ133

العلاقة بين كلمة "الإسلام" وكلمة "الدين":

عَرَّفَ علماء الأمة على مر العصور كلمة (الإسلام) وكلمة (الدين) بمعنى واحد، إيمانًا منهم بترادفهما وعدم انفصال أيٍّ منهما عن الآخر، لقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾ (آل عمران: 19)، فعندما نقرأ لعالم من علماء الأمة تعبيرًا مثل "حمايةُ الدين" أو "نشرُ الدين"؛ فمن المفهوم أنه يقصد الإسلام.

وقد فسر ابن كثير رحمه الله هذه الآية بأنها:

"إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام – وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى خُتموا بمحمد ﷺ – الذي سَدَّ جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ ، فمن لقي الله بعد بَعثه محمد ﷺ بدين علي غير شريعته، فليس بمُتَقَبَّلٍ، كما قال تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: 85)"[45].

وفسرها الشيخ حسنين محمد مخلوف رحمه الله قائلا:

"الدين هو الطاعة والانقياد لله، والإسلام: هو الإقرار بالتوحيد مع التصديق والعمل بشريعته تعالى"[46].

ومن أشهر التعريفات ما أورده د. دراز رحمه الله بقوله:

"الدِّين: وضعٌ إلهيٌّ يُرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات"[47].

---

45 . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة بيت الأفكار الدولية الرياض، سنة 1999 صـ302

46 . كلمات القرآن تفسير وبيان، الشيخ حسنين مخلوف، الآية "إن الدين عند الله الإسلام") آل عمران 19).

47 . انظر: الدين للدكتور دراز طبعة دار القلم. الكويت صـ33.

ومما سبق يتضح لنا أن المسلمَ ليس هو من اتبع شريعة الله التي أنزلها على خاتم أنبيائه محمد بن عبد الله ﷺ فقط، بل هو من اتبع شرع الله الذي أنزله لعباده على نبي عصره، وقد قال تعالى في القرآن الكريم ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: 48).

ويورد القرآن الكريم على ألسنة الرسل وأتباعهم في كل العصور اسمَ (الإسلام) وصفا لدينهم، واسمَ (المسلمين) وصفًا لأنفسهم وأقوامِهِمُ المؤمنين، ومن ذلك:

- ما جاء على لسان نوحٍ عليه الصلاة والسلام مُقِرًّا بكونه فردًا في الجماعة المسلمة، يقول تعالى ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: 72).

- وما جاء على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 131).

- وبالإسلام يصف القرآن من نجاهم الله من آل لوط، يقول تعالى ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات: 36).

- وبالإسلام وَصَّى إبراهيمُ ويعقوبُ عليهما السلام بنيهما، يقول تعالى ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ؛ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 132).

- ويصف أبناء يعقوب عليه السلام أنفسهم بالمسلمين لإيمانهم بالله سبحانه وتعالى واتباعهم دينه ودين آبائه من الأنبياء إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ عليهم صلوات الله وسلامه، يقول تعالى ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 133).

- وجعل موسى عليه الصلاة والسلام التوكل على الله سبحانه وتعالى شرطًا للإسلام، يقول تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (يونس: 84).

- ووصف السحرةُ أنفسهم بعد إيمانهم برب موسى وهارون عليهما السلام بالمسلمين، يقول تعالى ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآَيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: 126).

- والإسلام هو الدين الذي دعا إليه سليمان عليه السلام كما هو واضح من خطابه لمَلِكَةِ سَبأَ وقومِها، يقول تعالى ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل:31).

- وبالإسلامِ وَصفت ملكة سبأ نفسَها بعد اتِّبَاعها سليمانَ عليه الصلاة والسلام، يقول تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: 44).

- وبالإسلام وصف حواريو عيسى بنِ مريمَ عليه الصلاةُ والسلامُ أنفسَهم بعد أن آمنوا بالله تعالى وبرسوله، يقول تعالى ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آَمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آَمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة:111)، ويعلق صاحب الظلال رحمه الله في تفسيره لتلك الآيات من سورة المائدة مقارنًا أصحاب عيسى وأصحاب محمد عليهما الصلاة والسلام؛ قائلًا: "وهؤلاء مسلمون وهؤلاء مسلمون، وهؤلاء مقبولون عند الله وهؤلاء مقبولون"[48].

- ويُشهد الحواريونَ الله تعالى على إسلامهم، يقول تعالى ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آَمَنَّا بِاللَّهِ، وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ* رَبَّنَا آَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: 52–53).

- بل قرر القرآن أنه دينُ الجنِّ أيضًا؛ وليس دينَ الإنسِ فحسْب، يقول تعالى ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (الجن: 14)[49].

وبذلك يكون بكاء أبي بكر رضي الله عنه عند سماعه الآية الكريمة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة: 3) إنما جاء نتيجة فهمٍ عميقٍ لموقعِ

---

48 . في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق سنة 2007 صـ997.

49 . د. عبد الستار فتح الله سعيد: المنهاج القرآني في التشريع، القاهرة 1992 صـ132

رسولِ الله – محمدِ بنِ عبدِ الله ﷺ – كخاتَمِ رسلِ الله الذين حملوا دين الإسلام برسالة التوحيد لأهل الأرض جميعًا، فبتمام نعمة الله وإكماله الدين على صورته الحالية – وهي دين الإسلام – تصبح مهمة آخر الأنبياء والرسل جميعًا قد انتهت، لذلك عندما سئل أبو بكر رضي الله عنه "ما يبكيك يا أبا بكر؟" أجاب قائلًا: "هذا نعي رسول الله"[50] ﷺ.

ويشير سيد قطب رحمه الله إلى فكرة الدين الواحد الذي أرسله الله تبارك وتعالى للبشرية بواسطة أنبياءَ ورسلٍ عديدين، انتظمهم موكب الرسالات من لدن آدم عليه السلام إلى محمد بن عبد الله ﷺ؛ قائلا:

"وإن المؤمن يقف أولًا أمام إكمال هذا الدين؛ يستعرض موكب الإيمان، وموكب الرسالات، وموكب الرسل منذ فجر البشرية ومنذ أول رسولٍ – آدمَ عليه السلام – إلى هذه الرسالة الأخيرة"[51].

وتأسيسًا على ما سبق يتضح جليًّا أن من قال "**لا إله إلا الله**"، وأقر بأن عيسى بنَ مريمَ بشرٌ وعبدٌ لله ورسولُه؛ في الفترة بين الرسولين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام: هم مسلمو عصرهم، ويدعمُ ذلك وصفُ المولى عز وجل اليهودَ الذين لم يؤمنوا بالمسيح عليه الصلاة والسلام بالكفرِ، بينما وصف الذين آمنوا به بالإيمان، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ، فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ، فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف: 14).

---

[50] . حياة محمد، محمد حسين هيكل، دار المعارف 1977، صـ493

[51] . ظلال القرآن، سيد قطب، ، دار الشروق سنة 2007 صـ836.

ويقول الطَّبَرِيُّ رحمه الله مُثْبِتًا وصف الإيمان لمن تَبِعُوا المسيحَ وآمنوا به من بني إسرائيل، عند تفسير قوله تعالى "فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ":

"يقول جل ثناؤه: فآمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى، وكفرت طائفة منهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"[52].

وفيما يرويه البخاري رحمه الله أن النبي ﷺ قال: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياءُ إخوة لِعَلَّاتٍ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"[53].

ويؤكد ذلك ابن تيمية رحمه الله في فتاواه مُوَضِّحًا أن دين الأنبياء هذا هو الإسلام:

"وهذا الدين هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله دينا غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام"[54].

---

[52] . تفسير الطبري، دار التوفيقية بالقاهرة سنة 2004 ج15 صـ96

[53] . صحيح البخاري دار الشعب سنة1958 ج 4 صـ203

[54] . ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الرياض سنة 2002 ج 4 صـ48

الفصل الثاني

من خمسة فصول

عقـــــائد النصـــارى الموحـــــدين

مقارنة مع القرآن الكريم

الفصل الثاني

عقـــائد النصـــارى الموحـــدين:

مقارنة مع القرآن الكريم

سنحاول في هذا الفصل إلقاء الضوء على جماعات النصارى الموحدين، بدءًا من الإبيونيين مرورا بأتباع ثِيودوتاس ثم بأتباع بولس الشَّمْشَاطِيّ وانتهاء بالآريوسيين، مع التركيز عليهم لكونهم الفرقة التي عاصرت الفتح الإسلامي كما سنرى فيما يلي من البحث، كما سيتم كذلك شرحُ عقائد تلك الفرق، وذِكرُ نُبْذَةٍ عن مؤسِّسِيها.

لقد تمركز الصراع العَقَدِيُّ حولَ مسألة الثالوث المقدس، ومسألة طبيعة السيد المسيح، وعلى الرغم من أن بولسَ نفسَه لم ينادِ بألوهية المسيح ولا بعقيدة الثالوث المقدس؛ إلا أن أسلوبه في التعبير، والتغييرات التي قام بها[55] فتحت الباب لتلك الشبهات، ومهدت لها الطريق لكي تصبح عقائد ثابتة في أُوروبا[56]، مما جعل بطرسَ الحواريَّ يُحذر من أسلوبه المتفلسف في الكتابة الذي قد يؤدي لضلال العوام، قائلا:

"كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولسُ أيضًا بِحَسَبِ الحكمة المعطاة له، كما في الرسائل كلِّها أيضًا، متكلمًا فيها عن هذه الأمور، التي فيها أشياء عَسِرَةُ الفهم، يحرفها غيرُ العلماء وغيرُ الثابتين – كباقي الكتب أيضًا – لإهلاك أنفسهم"[57].

وقد احتاجتِ المسيحيةُ لأكثرَ مِنْ ثلاثةِ قرون كي تكتمل وتستقر على تعاليمَ ثابتة[58]، مرت خلالها بصراعات عَقَدِيَّةٍ مريرة بين أنصار الثالوث المقدس (Holy Trinity) وأنصار

---

55 . "اليوم أحلت لي كل الأشياء" رسالة كورنثيوس الأولى إصحاح 7 آية 12 و يعتمد عليها المسيحيين في أكل الخنزير وترك الختان.

56 محمد عطاء الرحيم: عيسى رسول الإسلام، ، لندن 1977 صـ70

57 . رسالة بطرس الثانية إصحاح3 آية 16،15

58 . جاكوب بوركهارد، عهد قسطنطين العظيم، 1852/طبعة جامعة كاليفورنيا 1949 صـ125

التوحيد الخالص (Dynamic Monarchianism)، خرج منها المنتصرون بوصف الأورثوذوكس، وخرج المهزومون بوصف الهراطقة!!

الإبيونيون:

هي جماعة يمكن وصفها بأتباع المسيحية اليهودية، وذلك لتمسكهم بالتوراة ورفضهم للأناجيل الأربعة، وإيمانهم بنسخة عِبرية مختلفة، وَصَفَهَا رَمْسِيْسْ عَوَضْ بـ"النسخة الشائهة"[59]، ويقول تولاند: إن الإبيونيين عاصروا السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، بل وخرج منهم كلُّ الحواريين، ولكن رغم ذلك حَكَمَ عليهم المسيحيونَ الأُوروبيون الذين تعلموا من بُولُسَ الطَّرْسُوْسِيّ الذي لم يَرَ المسيح في حياته أبدا؛ بأنهم هراطقة ضلوا عن السبيل، إذ لم يؤلهوا المسيح ولم يؤمنوا بالثالوث المقدس:

" اتفق مؤرخو الكنيسة بالإجماع على أن الناصريين والإبيونيين هم المسيحيون الأُوَل، أو أنهم أوَّلُ من آمن بالمسيح من بين اليهود الذين كانوا هم قومَه الذين عاش ومات بينهم، وكانوا هم شهودَ أعماله وخرج منهم كلُّ الحواريين، وبأخذ ما سبق في الاعتبار أقول: كيف أمكن أن يصبحوا أوَّلَ الهراطقة؟ مَنِ المُعَرَّضُ لتكوين صورةٍ خاطئةٍ ومفاهيمَ مغلوطةٍ؟ وكيف أصبح الأُمِّيُّونَ – الذين آمنوا به بعد موته من خلال مواعظِ أناس لم يعرفوه أبدًا – هم أصحاب العقائد والمفاهيم الصحيحة؟"[60].

واختلف الباحثون بشأن تسمية الإبيونيين، فقال بعضهم إنهم نُسبوا لرجل يدعى إبيون، ظهر بعد خراب أورشليم سنة 70م، آمن بأن المسيح لم يكن إلها بل إنسانًا ولد بالطبيعة من مريم ويوسف، وأن الإيمان بلا حفظِ ناموسِ موسى – كالختان وحفظ السبت – لا يفيد شيئًا[61].

---

59 . الهرطقة في الغرب، موريس عوض، بيروت 1997 صـ36

60 . الناصريون، جون تولاند 1718 صـ73

61 . عقائد النصارى الموحدين، حسني يوسف الأطير، دار الأنصار، القاهرة (عابدين)، 1985 صـ46

وذكر الأَسْقُفُ يوسوبياسُ القيصريُّ أن كتابات إبيون كانت ضمن الكتابات التي ازدهرت في القرن الثاني[62]، ويقول آخرون إنهم لم يُسَمَّوْا على اسم شخص بعينه، وإنما يعود أصل تسميتهم للأصل العِبري (إبيونيمَ) أي الفقراءِ والمساكين، ربما سموا أنفسهم هكذا تبركًا بقول معلِّمِهِمُ السيدِ المسيحِ "طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات"[63]، وربما لأن خصومهم أطلقوا عليهم تلك التسمية من باب السخرية من أفكارهم[64].

وأهم معتقدات الإبيونيين هو بشرية السيد المسيح عليه السلام، ولكن يَنسب إليهم خصومهم إنكارَ الولادةِ العُذْرِيَّةِ للمسيح من السيدة مريم عليهما السلام، بل بالغ بعضهم فنسب إليهم القول بأنه جاء من أبوين بشريين هما يوسفُ والسيدةُ مريمُ عليها السلام، فجاء عنهم في الدَّسْقُولِيَّةِ[65]:

"وأقوامٌ أُخَرُ ظهروا لنا الآن – يُدعون الإبيونيين – الذين يظنون أن ابن الله إنسان، ويريدون أن يقولوا إنه ولد من لذة إنسان، ومن اجتماع يوسف ومريم"[66].

بشرية السيد المسيح عليه السلام في القرآن الكريم:

يقول تعالى ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ، انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المائدة: 75).

يقول الإمام القرطبي رحمه الله موضحا عقيدة المسلمين في مسألة بشرية السيد المسيح وأمه عليهما السلام:

"كانا يأكلان الطعام" أي أنه مولود مَرْبُوبٌ، ومن وَلدته النساء وكان يأكل الطعامَ؛ مخلوقٌ محدث كسائر المخلوقين، ولم يدفع هذا أحد منهم، فمتى يصلح المَرْبُوبُ لأن يكون ربًّا؟! وقولهم:

---

62 يوسوبياس، تاريخ الكنيسة تعريب مرقص داود، ك5: ف 27

63 إنجيل مَتَّىْ ص5:3

64 أسد رستم، كنيسة الله مدينة أنطاكية العظمى، ج1 صـ32 ، متى المسكين: التقليد و أهميته في الإيمان المسيحي ص 89

65 الدسقولية أو تعاليم الرسل تعتبر أهم الكتب في الكنيسة بعد الكتاب المقدس

66 الدسقولية تحقيق سليمان قلادة فصل 2/31

كان يأكل بـ"نَاسُوْتِهِ" لا بـ"لَاهُوْتِهِ"؛ فهذا منهم مُصَيَّرٌ إلى الاختلاط، ولا يُتَصَوَّرُ اختلاط إله بغير إله، ولو جاز اختلاط القديم بالمُحدَث؛ لجاز أن يصير القديم مُحدَثًا، ولو صح هذا في حق عيسى لصح في حق غيره حتى يقال: اللاهُوتُ مُخَالِطٌ لكل مُحْدَثٍ، وقال بعض المفسرين في قوله: "كانا يأكلان الطعام" إنه كناية عن الغائط والبول، وفي هذا دَلالة على أنهما بَشَرَان"[67].

ونلاحظ هنا تأكيد القرطبي على بشرية السيد المسيح بإشارته إلى أن التعبير القرآني "كانا يأكلان الطعام"؛ هو تعبير عن الحاجة للغائط والبول، تمامًا كما قال الإبيونون بأن المسيح ليس إلا بشرًا عاديًّا ككل البشر.

كما كان للإبيونيين موقف متشدد من بولسَ، فاعتبروه مرتدًّا عن الناموس، مُخَرِّبًا للعقيدة الحقة، وعن هذا الموقف يتحدث إيرانيوسُ أحد أهم أساقفة القرن الثاني فيقول:

"والذين يُدعون باسم الإبيونيين؛ يوافقون على أن الله هو الذي خلق العالم، ولكن مبادئهم عن الرب هي مثلُ كُوْرِنْثُوسَ (Corinthos) وكَرْبُوكْرَاسْت (Carpocratians)، وهم يستخدمون إنجيل (مَتَّىْ) فقط، ويرفضون بولسَ الرسولَ، ويقولون عنه إنه مرتدٌّ عن الناموس، يحفظون الختان وكل العوائد المذكورة في الشريعة، فهم يهودٌ في حياتهم، ويُبجلون أورشليمَ لأنها بيت الله"[68].

وبمقارنة موقف الإبيونيين من شاؤل الطَّرْسُوْسِيِّ – المسمَّى ببولسَ الرسولِ – بتحذيرات القرآن في سورة المائدة من مخربي العقيدة الصحيحة في طبيعة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام؛ نجد التطابق الشديد بينهما، إذ يقول الحق تبارك وتعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: 77).

ويسميهمُ ابنُ كثيرٍ رحمه الله (شيوخَ الضلالِ) عند تفسير الآية، فيقول:

---

67 . القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الريان للتراث 1990 صـ2247

68 . إيرانيوس من كتابه ضد الهرطقات نقلا عن متى المسكين، التقليد و أهميته في الإيمان المسيحي صـ92

"أي لا تُجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تُطرُوا من أُمِرتُم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيحِ وهو نبيٌّ من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخِكم شيوخِ الضلالِ الذين هم سَلفكم ممن ضلَّ قديمًا، "وأضلوا كثيرًا، وضلوا عن سواء السبيل" أي: وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال"[69].

ونلاحظ ربط ابنِ كثيرٍ مغالاة أهل الكتاب في تأليه نبيهم؛ بتوجيهات شيوخهم الذين سماهم شيوخ الضلال ممن ضل قديمًا، تمامًا كما ربط الإبيونيون سبب ضلال المسيحيين بتعاليم شاؤل الطرسوسي الذي شنوا عليه حملة عنيفة، معتبرين إياه مرتدًّا ومخرِّبًا للعقيدة.

ويقول الدكتورُ هايام ماكوبي (Hyam Maccoby) – الباحثُ في التاريخ اليهوديّ المسيحيّ بجامعة ليوبيك (Lübeck)؛ أكبرِ مراكز أُوروبا في الأبحاث اليهودية:

"إن بولسَ – وليس المسيحُ – هو مؤسس المسيحية كدين جديد مستقل عن كلٍ من اليهودية التقليدية والتنوع العَقَدِيّ للنصرانية اليهودية، وأن هذا الدينَ الجديدَ قد نسخ التوراة واعتبرها شريعة لها صلاحية مؤقتة. إن الأسطورة التي يتمركز حولها الدينُ الجديدُ أصبحت تبشر بوفاة الكائن الإلهي. إن الإيمان بهذه التضحيةِ والمشاركةِ الأسطوريةِ في وفاة الإله كونّت أو شكلّت الطريق الوحيد للخلاص... لم يكن لدى المسيح نفسه أي فكرة عن ذلك، وأنه سيكون شيئًا غريبًا – بل وصدمةً – إذا عرفَ الدورَ الذي كَلَّفَهُ به بولسُ، وذلك باعتباره الإله المُعذَّب"[70].

ونلاحظ هنا اتهام ماكوبي لبولسَ بأنه مؤسسُ المسيحية كديانة جديدةٍ لها عقائدُ جديدةٌ تدور حول تأليه السيد المسيح وعقيدة الفداء.

[69] . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة بيت الأفكار الدولية الرياض،سنة 1999 صـ568

[70] . ماكوبي: صانع الخرافة–بولس و اختراع المسيحية، سان فرانسيسكو 1986 صـ15

أتباع ثيودوتاس:

جاء ثيودوتاسُ إلى روما عام 190م، ونذر نفسه لنشر عقيدة التوحيد الخالص، وأَيَّدَ نظرياته حول بشرية المسيح بآيات من الكتاب المقدس تشير إلى ذلك[71]، وأقرَّ بالولادة العُذرية للسيد المسيح عليه السلام، إلى أن قام البابا فيكتور بعزله عام 199م[72].

إشارات القرآن الكريم للولادة العذرية للسيد المسيح من السيدة مريم عليهما السلام:

يقول الله تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ، قَالَ كَذَلِكِ، اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: 45– 47).

ويؤكد الإمام الطبري رحمه الله عند تفسير هذه الآية قدرة الله على أن يَهَبَ ما شاء لمن شاء، فيقول:

"يعني بذلك جل ثناؤه: قالت مريم؛ إذ قالت لها الملائكة "إن الله يبشرك بكلمة منه" رب أنى يكون لي ولد: من أي وجهٍ يكون لي ولد؟ أمن قِبَلِ زوجٍ أتزوجه وبعلٍ أنكِحُهُ؟ أو تبتدئُ في خلقه من غير بعلٍ ولا فَحْلٍ، ومن غير أن يَمَسَّنِيْ بشر؟ فقال الله لها "كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ"، يعني: هكذا يخلق الله منكِ ولدًا لك من غير أن يَمَسَّكِ بشرٌ، فيجعلُه آيةً للناس وعِبرةً، فإنه يخلق ما يشاءُ، ويصنع ما يريدُ، فيعطي الولد من شاء من غير فحلٍ ومن فحل، ويحرم ذلك من يشاء

[71] . إنجيل يوحنا إص14 آية 28 "الأب أعظم مني" و "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيء" يوحنا إص5 آية 30 ، "" وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب" مرقص إص13 آية 32، "" أن لي أشياء كثيرة أتكلم واحكم بها من نحوكم . لكن الذي أرسلني هو حق . وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم" يوحنا إص8 آية 26

[72] . أنظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن 1932 صـ177

من النساء وإن كانت ذات بعل، لأنه لا يتعذر عليه خلقُ شيءٍ أراد خلقه، إنما هو أن يأمر إذا أراد شيئا ما أراد خلقه، فيقول له كن، فيكون ما شاء مما يشاء وكيف شاء"[73].

وبذلك الكلام الرائع بشأن قدرة الله على إعطاءِ الولد من ليس لها زوج، وحرمانِ من لها زوج؛ نرى تطابق رؤية النصارى الموحدين في مسألة الولادة العذرية للسيد المسيحِ عليه السلامُ معَ الرؤيةِ القرآنيةِ في هذه المسألة.

أتباع بُولُسَ الشَّمْشَاطِيّ:

بعد القضاء على حركات التوحيد في الغرب من أتباع ثيودوتاس، ومِن بعدِه أرطمون[74]؛ ظهر بولسُ الشَّمْشَاطِيُّ ليبعثها من جديد في الشرق عام 260م. كان بولسُ الشَّمْشَاطِيُّ أَسْقُفًّا على كنيسة أنطاكيَّة، أحدِ أهم مدن الإقليم الشرقي، والتي كانت واقعة تحت حكم الملِكَةِ العربية زَنُوبْيَا ملكة تَدْمُرَ. سار بولسُ على خطى من سبقوه من دعاة التوحيد، فنادى بإنسانية المسيح ورفض الثالوث، وأقر بالولادة العذرية للمسيح من السيدة مريم العذراء، فعُقدت ثلاثةُ مَجَامِعَ في أنطاكية لمناقشة معتقداته بين عامي (264 – 269م)، أدين في ثالثهما وعوقب بالحرمان والعزل، وصدرت بذلك خطابات لروما والإسكندرية تصفه بالمتغطرس والتافه والمنمق لكلامه والطماع ومنعدم الأخلاق. ومع ذلك احتفظ بمنصبه أَسْقُفًّا لأنطاكية بفضل الدعم القوي من الملكة زنوبيا، ولم يقتصر دوره على القيادة الروحية وإنما كانت له سلطة كبيرة في المجتمع المدني. ولكن بهزيمة الملكة زنوبيا أمام الإمبراطور الروماني أورليان؛ خسر بولس الشَّمْشَاطِيّ كرسيه وخسر كل مباني الكنيسة بعد استجابة الإمبراطور الوثني لمطالب القساوسة المناوئين له لكونهم معترفًا بهم من قبل الكنيسة في روما[75].

ويعترف المؤرخون أن مبادئ بولس الشَّمْشَاطِيّ لم تمت بهزيمته ولكنها استمرت بعده، يقول البروفيسور ديميتريوس كوسولاس (Dimitrios Kousulas):

---

73 . تفسير الطبري، دار التوفيقية بالقاهرة سنة 2004 ج3 صـ298

74 . ظهر بعد ثيودوتاس في روما و نادى بالتوحيد الخالص ولكنه واجه هو وأتباعه الحرمان والاضطهاد، كورتز: تاريخ الكنيسة صـ178

75 . تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن 1932 صـ182

"وطُرد بولس (الشَّمْشَاطِيُّ) لاحقًا، ولكن أفكاره لم تمت، ولم يكن سهلًا توفيق العقائد المسيحية مع المنطق الذي فسر به اليونانيونَ ما يمكن قَبُولُهُ من العقائد"[76].

ويَعتبرُ الأطيرُ عقائدَ بولس الشَّمْشَاطِيّ أنقى اتجاهات التوحيد الصحيح في عقائد النصارى بعد الإبيونيين، فيقول:

"ويمثل بولس هذا أنقى اتجاهات التوحيد الصحيح في عقائد النصرانية بعد الإبيونيين، فكان واحدًا من أعتى المنكرين لدعوى تأليه المسيح، وذهب إلى أنه مجرد إنسان تمكن ببره واستقامته أن يظفر بالخلاص وسمو المنزلة"[77].

هذا؛ وتعتبر أكبر مشكلة في التعرف على تفاصيل عقيدة بولسَ الشَّمْشَاطِيّ – شأنه في ذلك شأن باقي النصارى الموحدين – هي عدم بقاء أي كتابات من إنتاجهم الفكري نتيجة تعرضها للإتلاف، مما يجعل المصدر الوحيد للتعرف عليها هو كتابات خصومهم عنهم، يقول أسد رستم في هذا الشأن: "مواعظ بولس وآراؤه في العقيدة قد ضاعت، ولم يبق منها شيء سوى ما جاء في ردود أخصامه عليه"[78].

وتتلخص عقيدة بولسَ الشَّمْشَاطِيّ في أن المسيح ليس ابنا لله، بل إن الله لم يلد ولم يولد، ونورد في هذا الشأن نصًّا من كتاب (تاريخُ البطاركةِ) لساويرسَ بن المُقَفَّعِ أَسْقُفِّ الأشمونِين[79] المتوفي أواخر القرن العاشر الميلادي، ونصًّا آخر لابن العبري في (تاريخُ مختصرِ الدُّوَلِ)، فأما ساويرس فيقول عنه:

---

[76] . حياة و زمن قسطنطين العظيم، ديمتريوس كوسولاس، الطبعة الثانية ميريلاند الولايات المتحدة الأمريكية 1997 صـ345

[77] . عقائد النصارى الموحدين، حسني يوسف الأطير، دار الأنصار، القاهرة (عابدين) ،1985صـ55

[78] د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله، أنطاكية العظمى جـ1 صـ12

[79] الأشمونين هي قرية تابعة لمركز الروضة شمال غربي ملّوي بمحافظة أسيوط بمصر.

"وكان لا يقبل شيئا من الكتب (يقصد الإنجيل)، ولا يقول إن المسيح ابن الله، ولا أنه نزل من السماء وتجسد من مريم العذراء، بل وكان يجدف تجديفًا كثيرًا، ويُظهر أنه – أي المسيح – من جملتنا"[80] أي من جملة البشر.

ولا غرابة في اعتبار ساويرس الإيمان ببشرية المسيح تجديفًا، إذ أنه ينتمي لطائفة الأورثوذوكسِ المؤمنين بالتثليث.

أما ابن العبري فاعتبره مبتدعًا، فيقول عنه:

"وفي هذا الزمان ظهر من المبتدعة بولس الشَّمْشَاطِيّ، وكان يقول: إن جميع معلومات الله تعالى إرادية، وليس له معلول ذاتي بته، ولذلك لم يلد ولم يولد، ولهذا لم يكن المسيح "كلمة الله"، ولا أيضا (وُلِدَ من عذراء) كما ورد لنا في ظاهر المذهب، وإنما حَصُلَ له الكمال بالاجتهاد، فكل من تعاطى رياضته نال درجته"[81].

الآريوسية (Arianism):

ربطت (موسوعة أكسفورد لمعجم اللغة الإنجليزية) الآريوسية بإنكار ألوهية السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، فقالت:

"هي البدعة الرئيسية (في المسيحية) التي تُنكر ألوهية المسيح، وسُميت على اسم مبتدعها آريوس. الآريوسية تدعي أن ابن الله[82] ليس خالدًا وإنما هو مخلوق من عدمٍ بواسطة الآبِ[83] كأداة خَلْقِ العالم، وعلى ذلك فإن المسيح ليس مماثلًا ولا شريكًا في الأزلية مع الخالق، ولا هو من نفس المادة، وقد أُدينت تلك البدعة في مَجمع نِيْقِيَّةَ (**The Council of Nicea**) عام

---

80 تاريخ البطاركة: السيرة السادسة – العدد15.

81 تاريخ مختصر الدول – المطبعة الكاثوليكية بيروت 1958 صـ76

82 الموسوعة تقصد المسيح طبقا للعقيدة المسيحية.

83 الموسوعة تقصد الخالق طبقا للعقيدة المسيحية.

325 ميلادية، وبالرغم من طرد تلك البدعة من الإمبراطورية (الرومانية) فإنها ظلت موجودة بين القبائل الجَرْمَانِيَّة[84] حتى تحول الفِرِنْجَةُ[85] للكاثوليكية عام 496 ميلادية"[86].

وتعرِّف (الموسوعةُ الكاثوليكيةُ) الآريوسيةَ تحت باب "انقساماتُ المسيحيةِ وأسبابُه" فتقول:

"...، ومن بعد مَجمعِ القُسَطَنْطِينَيَّةِ الأولِ سنةَ 381 ميلادية؛ تلقت الآريوسية دَفعة جديدة للحياة بين القبائل الشمالية، القُوْطِ **(Goths)** واللُّومْبَارْدِ **(Lombards)** والبُورْجَنْدِيِّيْنَ[87] **(Burgundians)**، والوَنْدَالِ[88] **(Vandals)** نتيجة لمواعظ يُولْفِيلَسَ[89]، القَسِّ ذي العقيدةِ الآريوسيةِ الذي أُرسلَ منَ القُسَطَنْطِينَيَّةِ سنة 341 ميلادية لتنصير القوط الغربيين، ومن القوط الغربيين انتشرت الآريوسية بين القبائل المنبثقة، وأصبحت عقيدَتَهُمُ الوطنيةَ حتى سنة 581 ميلادية بتحول ملكهم ريكارد، وبالتالي تحول القوط الأسبان عنها..."[90].

---

[84] قبائل تاريخية نشأت في شمال أوروبا قبل العصر البيزنطي و يعتبر الجرمانيون هم أجداد الشعوب الإسكندنافية و الهولنديون و الألمان و الإنجليز.

[85] شعوب جرمانية غربية

[86] The principal heresy denying the divinity of Christ، named after its author **Arius**. Arianism maintained that the Son of God was not eternal but was created by the Father from nothing as an instrument for the creation of the world; the Son was therefore not coeternal with the Father، nor of the same substance. The heresy was condemned by the council of Nicaea in AD 325 and again at Constantinople in AD 381، but though driven from the empire it retained a foothold among Teutonic tribes until the conversion of the Franks to Catholicism (AD 496). **The Oxford Encyclopaedic English Dictionary، 1970، London.**

[87] القوط و اللومبارد و البورجونديون قبائل جرمانية استوطنت غرب أوروبا

[88] الوندال قبائل جرمانية استوطنت شمال إفريقيا

[89] يُولْفِيلَسُ هو أهم من نشر العقيدة الأريوسية في أوروبا وسط القبائل الجرمانية

[90] **Catholic Encyclopaedia، "Divisions of Christendom and their causes":** ...From the time of the First Council of Constantinople (381) Arianism received a new lease of life among the northern tribes، the Goths، Lombards، Burgundians، *Vandals*، etc. This was due to the preaching of **Ulfilas**، a bishop of *Arian* views، who was sent from Constantinople in 341 to evangelize the *Visigoths*. From the Visigoths it spread to the kindred tribes and became their national religion، until 586، with the conversion of Reccared، their king، and of the Spanish Visigoths...

وتصف الكنيسةُ الآريوسيةُ العالميةُ (Arian Catholic Church)، وهي كنيسةٌ تمثل العقيدةَ الآريوسيةَ حاليًّا، ومركزُها في شمالِ إنجلترا؛ تصف الآريوسيةَ بأنها حملةٌ ضد بِدعة التثليث، فتقول في موقعها على شبكة الإنترنت:

"الآريوسية هي حركة بدأت في القرن الرابع الميلادي بالتحديد، وقامت على تعاليم أَسْقُفٍ ليبيٍّ [المولدِ] اسمه آريوسُ ولد عام 250م، ومات عام 336م، والذي قام بحملة كبيرةٍ ضد بدعة التثليث"[91]، وقد تعلم آريوسُ على يد ليوسيانَ (**Lucien**) أَسْقُفِ أنطاكية الذي هاجم بدعة التثليث، وأنشأ مدرسة يعلم فيها تلاميذه عقيدة التوحيد[92].

آريوس:

طبقًا للموسوعة البريطانية فإن آريوسَ هو قَسٌّ مسيحي بالإسكندرية - مصر- وُلد في ليبيا عام 250 م، ومات بالقُسَطَنْطِينَيَّة (اسطنبولَ حاليًّا) عام 336م، وكانت تعاليمه بدايةً للعقيدة المسماة بالآريوسية، والتي أكدت على الطبيعة المحدودة للمسيح بأنه مخلوق، وقد أدانت الكنيسة تلك العقيدة واعتبرتها بدعة كبيرة[93].

ويصف البروفيسور ديميتريوس كوسولاس شخصية آريوسَ الجذابة قائلا:

"عام 313م أصبح آريوسُ قَسًّا في إحدى الكنائس المحلية بالإسكندرية بمنطقة تسمى بوكلى، وكانت بلاغته وجِلسته الوقورة وزهده في الحياة؛ قد بدأت في اجتذاب أتباعٍ كثيرين، كان طويلا رشيق القامة ذا نظرات جذابة، يرتدي دائمًا رداءً أبيضَ بدون أكمام"[94].

---

[91] التثليث هو الإيمان بعقيدة الثالوث المقدس و هو اتحاد الأب و الابن و الروح القدس في إله واحد بثلاثة أشخاص

[92] www.arian-catholic.org

[93] Encyclopedia Britannica

[94] حياة و زمن قسطنطين العظيم، ديمتريوس كوسولاس، الطبعة الثانية ميريلاند الولايات المتحدة الأمريكية 1997 صـ346

وقد تخرج آريوسُ في مدرسةِ أنطاكيةَ الظاهريةِ المتمسكةِ بحرفيةِ التنزيل، تلك المدرسة التي أسسها الشهيدُ "ليوسيان"[95] – هكذا أطلقت عليه الموسوعة البريطانية وصف الشهيد – المولودُ عام 240م في أنطاكية، حيثُ أسس هذه المدرسة التي رفضت البدع والإضافات للعقيدة فاكتسب عداء الكنيسة البولوسية[96]، وسُجن وعُذب عدة مرات حتى قتل عام 312م في مدينة نيكوميديا بآسيا الصغرى (إزميتّ حاليا)[97].

ويصف البروفيسور كوسولاس عنادَ آريوسَ الشديد وقوَّتَهُ في الصدع برأيه قائلا:

"لم يكن آريوسُ من نوع الرجال الذين يمكن إسكاتهم بسهولة، كما لم يكن وحده الذي يؤمن بهذه المعتقدات، بل كان كثيرٌ من الأساقفة والكهنة في الشرق يفضلون تعاليمه، وأصبح أحد زملائه في مدرسة ليوسيان وهو يوسوبياسُ أَسْقُفًا لنيكوميديا؛ عاصمة الإمبراطورية"[98].

ورغم إبعاد اسكندرَ أَسْقُفِ الإسكندرية عام 320م لآريوسَ متهمًا إياه بالهرطقة؛ فقد استطاع الأخير أن يكسِب تأييد الكثير من الأصوليين وقادة الكنيسة في العالم مثل:

- أوكسنتيوسُ الآريوسيُّ أَسْقُفُ ميلانو:

(Auxentius Arian Bishop of Milan).

- يوسوبياسُ الآريوسيُّ أَسْقُفُ نيكوميديا:
- (Eusebius Arian Bishop of Nicomedia)
- يُولْفِيلَسُ الآريوسي أَسْقُفُ داشيا:

---

[95] باعث مبادئ التوحيد التي نادى بها بولس الشمشاطي بأنطاكية، و ترأس مدرسة لاهوتية نادت بالتوحيد تتلمذ فيها آريوس و يوسوبياس الذي صار أَسْقُفّ نيكوميديا فيما بعد، أعدم ليوسيان بسبب آرائه عام 312م ، ديمتريوس كوسولاس صـ345

[96] نسبة لبولس مؤسس المسيحية الحديثة و الذي يطلق عليه المسيحيين بولس الرسول

[97] الموسوعة البريطانية

[98] حياة و زمن قسطنطين العظيم، ديمتريوس كوسولاس، الطبعة الثانية ميريلاند الولايات المتحدة الأمريكية 1997 صـ349

- (Ulfilas Arian Bishop of Dacia)
- ميليتيوسُ أَسْقُفٌ لايكوبوليس (أسيوط):
- (Meletius Arian Bishop of Lycopolis)

وقد جعل هذا التأييدُ بعض المؤرخين يقرون بأن النصارى الآريوسيين الموحدين كانوا أكثر عددًا من المسيحيين المسمين بالأورثوذوكس، وهو اسم أُطلق على كل المُثَلِّثَةِ في العالم – قبل انقسامهم إلى كاثوليك وأورثوذوكس نتيجة الاختلاف حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام في مجمع خلقدونيا (Chalcedon Complex) عام 451م، ومركزهم روما[99].

ويذكر الأَسْقُفٌ هانسونُ تفاصيلًا أكثرَ عن آريوسَ من حيثُ تعاليمِهِ وسيرته الذاتية فيقول:

"في عام 318م؛ كان آريوسُ هو الكاهنَ المسئول عن كنيسة منطقة بوكلى بالإسكندرية، والذي قام بانتقاد المنطق المسيحي الذي كان ينشره رئيسه الأَسْقُفٌ إسكندرُ أَسْقُفٌ الإسكندرية"[100].

وظلت كلمة "آريوسي"Arian تستعمل للإشارة للكِيان الرئيسي للمعارضين لمَجْمَعِ نِيْقِيَّةَ، المعروفين عند العلماء بالهومويانس (Homoians)، وهم محافظون بقوة، حاولوا دائمًا تجنب لغة النقاش الفلسفيّ[101].

وليس كل من تمسك بالتوحيد وعارض مَجْمَعَ نِيْقِيَّةَ واعتُبِرَ آريوسيًا هو من أتباع آريوس، فهناك أتباع يونومياس Eunomius المعروفون في القرن الرابع باليونوميانس (Eunomians)، أو الأنهومويانس (Anhomoians) وهم الذين استمد منهم الآريوسيون الجدد (Neo-Arians) تعاليمهم.

---

[99] www.arian-catholic.org

[100] الأَسْقُفَ هانسون: البحث عن عقيدة الألوهية في المسيحية،أدنبره 1988 صـ3

[101] الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز . أوكسفورد 1996 صـ27

وقد أعلنوا عقيدتهم صريحة؛ أنهم يرون عدم تشابه طبيعة ومنزلة الأب والابن، أي أن الابن لا يشارك الأب في الألوهية. وبالنسبة للموحد الذي يدرك معنى الألوهية؛ لا شيء يمكنه ذلك (مشاركة الأب في الألوهية). إذا فالابن يجب أن يكون مخلوقًا[102].

وفي مسألة الاسم يبدي موريس وايلز (Maurice Wiles) رأيه قائلا:

"كان من الممكن أن يفضلوا اسمًا آخر لهم مثل شارحي الإنجيل أو المحافظين على التراث السليم"[103].

تعاليم آريوس:

يُقِرُّ المسيحيونَ المؤمنونَ بالثالوثِ المقدس بأن الآريوسية هي امتداد لتعاليم بولسَ الشَّمْشَاطِيّ وتعاليم الإبيونيين من قبله[104]، ويُعتقد أن معظم كتبِ آريوسَ قد أحرقت طبقًا لأوامر الإمبراطور قُسَطَنْطِينَ حيث أصدر أمرًا إمبراطوريًّا ينص على حرق أعماله وإعدام كل من وُجدت عنده، يقول فيه:

"مِنَ المنتصر العظيم قُسَطَنْطِينُ أُوغَسْطَسْ (Constantinus Augustus) إلى الأساقفة وعامة الشعب:

حيث إن آريوس هو مقلد الأشرار؛ فمن العدل أن يقاسي من الخزي مثلهم. بورفيريوسُ[105] (Porfirius) الذي كان عدوًّا لكل من يتقي الله؛ أَلَّفَ كتابًا ضد تعاليم ديننا، ولم يجد الجزاء الذي يستحق، فمن هذا الوقت وهو مُهان، وأصبحت سمعته سيئة، ودُمرت كتاباته الشريرة. وبنفس الوتيرة يبدو أن آريوس ومن هم على شاكلته، يجب أن يطلق عليهم بورفيريون (أتباع بورفيريوس)

---

102 الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز . أوكسفورد 1996 صـ31

103 الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز . أوكسفورد 1996 صـ28

104 منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية صـ139

105 فيلسوف يوناني

حتى تكونَ أسماؤهم على اسم من قلدوا. بالإضافة لذلك فإن وُجد أي شيء كتبه آريوس يجب أن يلقى في النيران، بحيث لا يقتصر الأمر على طمس تعاليمه الشريرة فحسب، ولكن إزالة كل أثر لها حتى لا يتذكره أحد. وطبقا لهذا المرسوم العام؛ فإنه في حالة العثور على أيٍّ من كتاباته مخبأة ولم تسلم فورا لإتلافها حرقًا؛ فإن الإعدام هو عقوبة من يُكتشف تلبُّسُهُ بهذه الجريمة، والله شاهد عليكم إخوتي الأحبة"[106].

و لكن المؤكد هو عدمُ اهتمامِ أيٍّ من تلاميذِه بنشر كتبه[107]، ولهذا يُعتمد بالدرجة الأولى في معرفة الخطوط العريضة لتعاليمه على منظومة (Thalia)، أو الوليمة الشعرية؛ التي حوت الكثير من تعاليمه، ولكنها لم تخْلُ من الجدل حول مصداقية نسبتها إلى آريوس بسبب العثور على نسختين منها فقط، وكلتاهما كانت لدى أَثَنَاسْيُوسَ أَلَدِّ خصومِهِ، يقول د.هانسون بهذا الصدد:

"إن أصعب ما يواجهنا؛ أن الوليمة (Thalia) وهي المصدر الوحيد لفكر آريوس العَقَدِيِّ؛ هي مجموعةُ عباراتٍ لا تخلوا من كونها من تأليف أَثَنَاسْيُوسَ الذي لن يتورع عن إساءة تقديم مقولات آريوس"[108].

وكذلك يُعتمد على كتابات خصومه عنه، وبعض خطاباته لزميله الأَسْقُفِّ يوسوبياسَ بالقُسَطَنْطِينَيَّة، وإسكندرَ أَسْقُفِّ الإسكندرية؛ كمرجع رئيسي لتعاليمه كما وصفه أَثَنَاسْيُوسُ عام 318م[109].

وحيث إن الخطاب كان في حوزة خصومه مِنَ المُثَلِّثَةِ أمثالِ إسكندرَ وأَثَنَاسْيُوسَ؛ فلا يمكن الوثوق بأن ما فيه لم يخضع للتحريف طبقا لهواهم، بل إنه قد ورد في هذا الخطاب كونُ المسيح مخلوقًا ولكنه الابن المولود لله أي (Begotten Son)، وهو التعبير الذي أجمع علماء الإنجيل

---

106 فردريك شلوتهيس، المجامع المسكونية من نِيْقِيَّةَ إلى خلقدونية، برلين 1908 صـ2،1

107 الأسقف هانسون، البحث عن عقيدة الألوهية في المسيحية، ، أدنبره 1988صـ123

108 المرجع السابق صـ10

109 المرجع السابق صـ126

على أن أول من أضافه هو القديسُ جِيْرُومُ مترجم الكتاب المقدس من اليونانية للاتينية عام 399م [أي بعد كتابة هذا الخطاب بأكثرَ من 80 سنة] للقضاء على البدعة الآريوسية[110].

مناظرات آريوس:

لقد ناظر آريوسُ القساوسة المؤيدين لعقيدة التثليث، وكان مما قاله لهم:

"لو افترضنا أن المسيح هو في الحقيقة ابن الله؛ لكان معنى ذلك أن الله كان موجودًا قبله، وبالتالي فقد كان هناك زمنٌ لم يكن الابن موجودًا خلاله، إذا فجوهره ومادته لم تكن موجودة في وقت ما، وطالما أن الإله في جوهره موجود من الأزل وإلى الأبد، إذا فالمسيح لا يمكن أن يكون من نفس جوهر الله"[111].

ورفع آريوس شعار "فلنتبع المسيح كما علمنا"[112] (Follow Jesus as he preached).

وطالما أنه لا يمكن أن يكون هناك من هو أعظم من الله، وقد قال المسيح عن نفسه كما ورد في إنجيل يوحنا "الأب أعظم مني"[113]، وطالما أن المسيح لا يقول إلا الصدق إذا فهو ليس الله، أضف إلى ذلك أنه لم يقل "أنا الله" أو حتى "أعبدوني" أبدًا[114].

وطالما أن الله قادر على فعل أي شيء، وقد قال المسيح عن نفسه كما ورد في إنجيل يوحنا "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا"[115]، وطالما أن المسيح لا يقول إلا الصدق إذا فهو ليس الله.

---

110 فتوى د. بول داف رئيس قسم الأديان بجامعة جورج واشنطن (ملحق 4)

111 البحث عن عقيدة الألوهية في المسيحية، الأسقف هانسون، أدنبره 1988صـ22

112 محمد عطاء الرحيم: عيسى رسول الإسلام، ، لندن 1977 صـ81

113 يوحنا إصحاح 14 آية 28

114 و بالرغم من ذلك فتعاليم الكنيسة تقضي بأن خلاص الإنسان مرتبط بإيمانه لأن المسيح هو الله

115 يوحنا إصحاح 5 آية 30

وطالما أن الله عالمٌ بكل شيء، وقد قال المسيح عن نفسه كما ورد في إنجيلِ مُرْقُسَ "وأما ذلك اليومُ وتلكَ الساعةُ؛ فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب"[116]، وطالما أن المسيحَ لا يقولُ إلا الصدقَ؛ إذا فهو ليس الله.

وطالما أن الله يُوحِي ولا يُوحَى إليه، وقد قال المسيح عن نفسه كما ورد في إنجيل يوحنا "إن لي أشياءَ كثيرةً أتكلم واحكم بها من نَحْوِكُم، لكن الذي أرسلني هو حقٌّ، وأنا ما سمعته منه؛ فهذا أقوله للعالم"[117]، وطالما أن المسيح لا يقول إلا الصدق؛ إذا فهو ليس الله.

بالإضافة للإشارات العديدة للمسيح وصلواته في الإنجيل، فلمن كان يصلي، هل كان يصلي لنفسه؟

هل عندما قال "إلهي إلهي؛ لم تركتَنِيْ؟" كان يقصد "نفسي نفسي؛ لم تركتِنِيْ؟" أم أن المسيح لم يكن هو الله؟

إشكالية: هل تُخَالِفُ عقيدةُ آريوسَ؛ عقيدةَ الإسلام في طبيعة السيد المسيح، بالرغم من قوله بأنه مخلوق؟

نريد أن نفند بعض الشبهات حول الآريوسية التي يستخدمها بعضهم لإثبات أن عقيدة آريوسَ تخالف عقيدة الإسلام، وسنتناول أربعة من هذه القضايا فيما يلي:

أولًا: إطلاق لفظ (الابن) على السيد المسيح ولفظ (الأب) على الله تعالى.

ثانيًا: قولٌ منسوب لآريوس أن الابن كان بداية لأشياءَ مخلوقة.

ثالثًا: القول المنسوب لآريوس بأن المسيح هو مخلوق كامل وليس كأي مخلوق آخر.

---

[116] مرقس إصحاح 13 آية 32

[117] يوحنا إصحاح 8 آية 26

رابعًا: الادعاء بأن آريوس قد اعتقد بصلب المسيح، وإذا كان ذلك صحيحًا فهل يكفر به؟

أولًا: إطلاق لفظ (الابن) على السيد المسيح ولفظ (الأب) على الله تعالى:

لقد تجاوز علماء المسلمين الذين تعمقوا في ثقافة بني إسرائيل واللغة العِبْرِيَّةِ هذا المصطلح، لورود مصطلح الابن بمعنى المتدين أو البَارّ، ونستشهد هنا برأيِ كلٍّ من ابن تيمية والشيخ رحمةِ اللهِ خليلَ الهنديّ رحمهما الله، يقول ابن تيمية:

"إذا كان الأب في لغتهم هو الرب الذي يربي عبده أعظم مما يربي الأب ابنه؛ كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة، فيكون المعنى: اليوم جعلتك مرحومًا مصطفي مختارًا"[118].

أما رحمةُ اللهِ خليلُ الهنديُّ فيستدل على أن لفظ الابن لا يؤخذ بمعناه الحرفيّ من آياتِ الكتابِ المقدَّسِ نفسِه قائلًا:

"إن لفظ (الابن) في قولهمُ (ابن الله) لا يصح أن يكون بمعناه الحقيقي؛ لأن المعنى الحقيقي للفظِ (الابن) – باتفاق جميع لغات أهل العالم – هو المتولد من نُطفة الأبوين، وهو مُحال هاهنا، فلابد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح عليه السلام، أي بمعنى الإنسانِ الصالحِ البارّ.

والدليلُ على ذلك المعنى المجازيِّ قولُ قائدِ المائةِ الواردُ في إنجيلَيْ مُرقسَ ولوقا، ففي إنجيل مُرقسَ في الإصحاحِ الخامسِ عشر، العدد التاسعِ والثلاثين (15/ 39): "قال: حقًّا كانَ هذا الإنسانُ ابنَ الله"، وفي إنجيل لوقا في الإصحاحِ الثالث والعشرين، العددِ السابعِ والأربعين 23 / 47: "فلما رأي قائد المائة ما كانَ؛ مَجَّدَ الله قائلًا: بالحقيقة كانَ هذا الإنسانُ بارًّا".

---

[118] إبن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار الحديث بالقاهرة سنة 2003 ج2 صـ 198

فوقع لفظ (البارِّ) عند لوقا مكان لفظ (ابنِ الله) عند مرقس، وبغض النظر عن أن هذا التناقض بين اللفظين هو بسبب التحريف المستمر الواقع في الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح؛ فعلى فرض صحة اللفظين ففيهما دليل على جواز إطلاق لفظ (ابن الله) على الإنسان الصالح البارّ، وبخاصة أنه ورد في الموضعين وصف قائد المائة للمسيح بأنه إنسان.

وقد ورد في الأناجيل إطلاق لفظ ابن الله على غير المسيح من الصالحين، كما ورد إطلاق لفظ ابن إبليس على فاعلي الشر، ففي إنجيل مَتَّىْ في الإصْحَاح (5)، آية (9) والآيتين (44، 45):

"طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ" "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ * لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ".

فأطلق عيسى عليه السلام على صانعي السلام والصالحين العاملين بما ذُكر؛ لفظَ أبناء الله، وعلى الله لفظَ الأبِ بالنسبة إليهم"[119].

وبهذه الطريقة أثبت رحمةُ اللهِ الهِنْدِيُّ أن تعبير "ابن الله" يحمل معنى مجازيا وهو (بارٌّ) أو (متدينٌ)، وذلك بتفسير الكتاب بالكتاب نفسه.

ثانيًا: قولٌ منسوب لآريوس أن الابن كان بداية لأشياءَ مخلوقة:

ورد البيت التالي في منظومة الوليمة الشعرية (Thialia) المنسوبة لآريوس: "هو (أي الآب) الذي ليس له بداية، خلقَ الابن الذي كان بداية لأشياءَ مخلوقة".

[119] رحمة الله خليل الهندي: إظهار الحق، اختصار محمد ملكاوي، الرياض 1989 صـ 108

وبفرض ثبوت نسبة المنظومة لآريوس، بعد أن ذكرنا تشكك المؤرخين في ذلك لعدم ورودها إلا عن طريق أثَنَاسْيُوسَ ألدِّ خصومِ آريوس؛ فلا زال من الممكن التوفيقُ بين ذلك المعنى ومدلول الآية الكريمة في سورة آل عمران؛ التي تقضي بأن السيد المسيح قد خَلق من الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيه فكان طيرا بإذن الله، وكذلك أحيا الموتى بإذن الله، وكلها من خصوصيات الله تعالى:

﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 49).

يقول الطبري رحمه الله في تفسيره مثبتًا أن عيسى بنَ مريمَ عليه السلامُ قد شكَّلَ الطينَ على هيئة طيرٍ ثم نفخَ فيه بإذن الله ليصبح طيرًا مخلوقًا:

"حدثنا ابن حُمَيدٍ، قال: حدثنا سَلَمَةُ، قال: حدثنا ابنُ إسْحَاقَ: أن عيسى صلوات الله عليه جلس يومًا مع غِلمانٍ من الكُتَّابِ، فأخذ طينًا ثم قال: أجعلُ لكم من هذا الطينِ طائرًا؟ قالوا: وتستطيعُ ذلك؟ قال: نعم بإذن ربي! ثم هيأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه، ثم قال: كُنْ طائرا بإذن الله، فخرج يطير بين كفيه. فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم، فأفشوه في الناس وترعرع، فهَمَّتْ به بنو إسرائيل، فلما خافت أُمُّهُ عليه حملته على حُمَيْرٍ لها ثم خرجت به هاربة. وذُكر أنه لما أراد أن يخلق الطير من الطين سألهم: أي الطير أشد خلقًا؟ فقيل له الخفاش"[120].

ويذكر الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى "وأحيي الموتى بإذن الله"؛ أنه قيل إن السيدَ المسيحَ عليه السلامُ أحيا بإذن الله تعالى أربعةَ أنفسٍ، "العاذِرَ: وكان صديقا له، وابنَ العجوز، وابنةَ العاشر، وسامَ بنَ نوحٍ، فالله أعلم. فأما العاذرُ فإنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام، فدعا الله

[120] تفسير الطبري، دار التوفيقية بالقاهرة سنة 2004 ج3 صـ300

فقام بإذن الله وَوَدَكُهُ يَقْطُرُ، فعاش وولد له، وأما ابنُ العجوزِ فإنه مَرَّ به يُحمل على سريره، فدعا الله فقام ولبس ثيابه، وحَمَلَ السريرَ على عنقه ورجع إلى أهله، وأما بنتُ العاشرِ فكان أتى عليها ليلة، فدعا الله فعاشت بعد ذلك وَوُلِدَ لها، فلما رأوا ذلك قالوا: إنك تُحيي من كان موتُه قريبًا، فلعلهم لم يموتوا فأصابتهم سكتة، فأحيي لنا سَامَ بنَ نوحٍ، فقال لهم: دلوني على قبره، فخرج وخرج القوم معه حتى انتهي إلى قبره، فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه، فقال له عيسى عليه السلام: كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانكم شيب؟ فقال: يا روح الله؛ إنك دعوتني فسمعتُ صوتًا يقول: أجب روح الله، فظننت أن القيامة قد قامت، فمن هول ذلك شاب رأسي، فسأله عن النَّزْعِ فقال: يا روحَ الله؛ إن مرارةَ النزعِ لم تذهبْ عن حَنْجَرَتِي، وقد كان من وقت موتِه أكثرُ من أربعة آلاف سنة، فقال للقوم: صدقوه فإنه نبيٌّ، فآمن به بعضهم، وكذبه بعضهم وقالوا: هذا سحر "[121].

ثالثًا: القول المنسوب لآريوس بأن المسيح هو مخلوق كامل وليس كأي مخلوق آخر:

ورد هذا القول المنسوب لآريوس في خطابٍ ادعى خصومه أنه أرسله للأَسْقُفِّ إسكندرَ أَسْقُفِ الإسكندرية عام 320م، يقول فيه:

"عقيدتنا التي تعلمناها من الآباء ومنك أيها الأب المبارك هي: أننا نشهد بإله واحد، هو وحده لم يولد، وهو وحده الأول، وهو وحده الباقي، وهو وحده بلا بداية، وهو وحده الحق، وهو وحده الخالد الذي لا يموت، وهو وحده الحكيم، وهو وحده بيده الخير، وهو وحده الملك الحكم الحاكم رازق كلِّ شيء، الذي لا يتحول ولا يتبدل، عادلٌ، وخيرُ الذي أنجبَ: الابن الوحيدَ المولودَ قبل

[121] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الريان للتراث 1990 صـ1336

الزمان[122]، ومن خلاله خلق كل المخلوقات، جعله باقيًا بمشيئته لا يتغير ولا يتبدل، مخلوق كاملٌ خَلَقَهُ اللهُ ليسَ كأيٍّ من مخلوقاته"[123].

فالقول بأن المسيح بشر كامل يتفق مع عقيدة المسلم في الرسل، يقول محمد نعيم ياسين؛ في (بابٌ: الإيمانُ بالرسلِ)، تحت عنوان (الواجبُ علينا نحو الرسل):

"ويجب علينا أن نعتقد بأنهم أكملُ الخلق عِلمًا وعَملًا وأصدقُهم وأكملُهم أخلاقًا، وأنَّ الله سبحانه خَصَّهم بفضائلَ لا يلحقهم فيها أحد، وأنه عَصَمَهُمْ ونَزَّهَهُم عن الكذب والخيانة والكتمان والتقصير في التبليغ، وعن الكبائر كلها والصغائر"[124].

وقولُ آريوسَ بأنه "ليس كأيٍّ من مخلوقاته"؛ يتفق مع عقيدة المسلم أن المسيح هو الوحيد من دون البشر جميعًا الذي ولد من أمٍّ بلا أبٍ، كما أن آدم دون البشر جميعًا الذي ولد بلا أبٍ أو أمٍّ، وكما أن حواء دون البشر جميعا وُلدت بلا أم.

رابعًا: الادعاء بأن آريوسَ قد اعتقدَ بِصَلْبِ المسيح، وإذا كان ذلك صحيحًا فهل يكفر به؟

لقد هاجم بعض المُنَصِّرِينَ هذا البحث، وقالوا في أحد البرامج التلفازية ما مُفادُهُ: هل ترضى أخي المسلم أن يكون هناك مسلمٌ – أيْ آريوسُ – يؤمنُ بعقيدة الصَّلْبِ التي تتنافي مع ما جاء في القرآن؟

وسنرد على ذلك بأن نفترض جدلًا أن آريوسَ قد قال بصلب المسيح وقَتْلِهِ، ونقولُ: أن الذي يحرم على المسلم الاعتقاد بصلب المسيح وقتله هو ورود النفي في قول الله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ

---

[122] كلام مخالف لعقيدة آريوس ربما أضيف من أحد خصومه أو كان تعليقا كتب على نفس الورقة، و هو لا يؤثر إذ أن الخطاب كله مشكوك في نسبته لآريوس

[123] Epiphanius ،*Refutation of All Heresies* 69.7-8 ،Hilary ،*On the Trinity* 4.12f. 6.5f.

[124] شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة للملا علي القارى صـ56، باقتباس من الإيمان أركانه ، حقيقته، و نواقضه لمحمد نعيم ياسين. دار التوزيع و النشر الإسلامية 1986 صـ46

وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: 157).. وعلى هذا؛ فإن اعتقد مسلمٌ بعد نزول القرآن الكريم أن المسيح قد قتل أو صلب فقد كفر لتكذيبه ما جاءت به الآية، أما لو قال به مسلمٌ قبل نزول الآية بيوم واحد فليس ذلك بكفر، فما بالكم بمن قال بذلك قبل نزول الآية بأربعمائة عام تقريبًا.

أضف إلى ذلك أننا قد رددنا هذه الشبهةَ مع أنَّ آريوسَ لم يَرِدْ عنه ذلك إطلاقًا، والآيةُ نفسُهَا تثبتُ أنَّ الناسَ قد انقسموا حول مسألة الصلب، فهناك من قال بأن المسيح قُتل وصُلب، ومنهم من قال بأنه صُلب ولم يُقتل، ومنهم من قال إن شخصًا آخر قد قُتل وصُلب بدلا منه. وحتى الذين قالوا بهذا القول الأخير اختلفوا بين قائلٍ إن من قتل هو شخصٌ متطوعٌ، وآخرين قالوا إنه يهوذا الإسخريوطيُّ الخائنُ الذي أُلقِيَ عليه شَبَهُ المسيح، وهناك من قالوا إنه شخص ثالث غير معروف.

النصف آريوسيين (Semi Aarians):

وهو وصف أطلق على كل من عارض التثليث – ولو جزئيًّا – مثل:

- الهومويوسيانس (Homoiousians):

وقد ظهرت تلك الجماعة في أواخر العَقْدِ السادسِ من القَرْنِ الرابع الميلادي على يد مارسيلاس (Marcellus) حول مدينة أنقرة، وقد قال إن علاقة الأب بالابن هي الولادة لا الخلق، واعتبروهما مشتركين في طبيعة الألوهية، ولكنهم قالوا إن الابن أقل منزلة من الأب[125].

- النيوماتشيانس (Pneumatchians) أو الماسيدونيانس (Macedonians):

[125] See J.N. Steenson ،"Basil of Ancyra and the course of Nicene Orthodoxy" P. 195-208

وهي جماعة نَشِطَتْ في العَقْدَيْنِ السابعِ والثامنِ من القرن الرابع على يد ماسيدونيوس (Macedonius)، وقد ألَّهُوا الابن، واعتبروه في نفس درجة الأبِ ولكنهم نفوا الألوهية عن الروح القدس[126].

وقد أُطلق عليهم النصفُ آريوسيين؛ لأنهم آريوسيون فقط في ما يخص نفي الألوهية مع الروح القدس.

ويجب الحذر من الخلط بين هذه المجموعات وبين الآريوسيين، وقد أعلن ذلك هانسون قائلا:

"عقائد الآريوسيين الجددِ واليونوميانس؛ تمثل بالنسبة لي حالة من التيه والزيغ عن العقيدة الآريوسية الأصلية، وليست صورة من التجديد الحتمي"[127].

---

[126] الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز . أوكسفورد 1996 صـ30

[127] The search for the Christian doctrine of God ،R.P.C. Hanson ،Edinburgh1988 ،. P 100

الفصل الثالث

من خمسة فصول

اضطهاد النصارى الموحدين (الآريوسيين)

الفصل الثالث: اضطهاد النصارى الموحدين (الآريوسيين)

يذكرُ مؤرخُ الأديانِ الشهيرُ د. ساندرز في حوار نشر معه في (مطبوعةِ الفلسفةِ والكتبِ السماويةِ) عن المسيحيينَ وسيطرتهم على الدولة الرومانية، فيقول:

"بدأ المسيحيون في اضطهاد غير المسيحيين، ثم بدأ يضطهد بعضهم بعضًا لكونهم ليسوا من النوع المطلوب من المسيحيين"[128].

وليس معنى كلام ساندرزَ أن الاضطهاد اقتصر على المسيحيين الذين يؤمنون بالثالوث المقدس لأنهم خالفوا الكنيسة الكاثوليكية بعدم قَبولهم قرارات مَجْمَعِ خَلْقَدُوْنيا[129](Chalcedon) التي تقضي بوجود طبيعتين للسيد المسيح، ولكن تعدى الاضطهاد إلى من سُموا بالهراطقة – ومنهم الآريوسيون – لإصرارهم على عقيدة أن المسيح مخلوق، مخالفين بذلك قرارات مَجمعِ نِيْقِيَّةَ عام 325م، يقول سام إليوت:

"كل ما قيل عن اضطهاد الهمج الوثنيين للمسيحيين ينطبق تماما على اضطهاد الكنيسة للهراطقة، فبعد عصر نِيْقِيَّةَ لم تقتصر معاملة المفارقين لعقيدة حكم دولة الكنيسة على الكُره والحِرمان الكَنَسِيّ لخطئهم في العقيدة، ولكنهم عوملوا كمجرمين ضد الدولة المسيحية، وبذلك عوقبوا بعقوبات مدنية مثل الخَلْعِ من المناصب والإبعاد والمصادرة، ووصل الأمر إلى الإعدام بعد وصول الإمبراطور ثيودوسيوس (Theodosius) للحكم"[130].

ويسجل جون دافنبورت (John Davenport) رَقْمًا قياسيًّا لعدد النصارى الموحدين الذين قتلتهم الكنيسة؛ قائلًا:

---

[128] Journal of Philosophy and Scripture ،volume 2 ،issue 2 ،spring 2005

[129] مَجمَعٌ مقدسٌ أقيم عام 451م، وقرر أن المسيح له طبيعتان: إنسانية وإلهية، وهو ما عارضته الكنيسة الشرقية، ونتج عنه انشقاق المؤمنين بالثالوث إلى كاثوليك وأورثوذوكس.

[130] Sam. Eliot: History of Liberty. Boston4 ،1858 ، vols. Early Christians ،vols. i. and ii.

"لهذه الأسباب كان الإيمان الأعمى مطلوبًا، ولهذا السبب أعدمت الكنيسة اثني عشر مِليونًا من النصارى الموحدين الـ(Unitarians) – بوصفهم هراطقةً – في محاكم الكنيسة سيئة السمعة"[131].

وسنحاول بإيجاز فيما يلي ذكر المحطات التاريخية المهمة للنصارى الموحدين:

- أعلن الإمبراطورُ قُسَطَنْطِينُ العظيم (the Great Constantin) والذي كان يدين بالوثنية حتى ذلك الوقت؛ أعلن الحرية الكاملة للعقيدة عام 312م.

- ترأسَ الإمبراطورُ الوثنيُّ قُسَطَنْطِينُ مَجمعَ نِيْقِيَّةَ عام 325م، حيث تم إقرار عقيدة التثليث بالتصويت[132]، وكان من المصوتين لصالح عقيدة التثليث كثيرون من المعارضين لها في الحقيقة، لكنهم فعلوا ذلك رغبة في السلام، وخوفًا من العزل[133].

- حَرَمَ قُسَطَنْطِينُ الهراطقة والخارجين عن عقيدة التثليث من حقوق المواطنة عام 326م، وأمر بإبعاد آريوس والقساوسة المقربين منه وحرق كتبهم[134].

- أعاد قُسَطَنْطِينُ من المنفي الأساقفة يوسوبياسَ (Eusebius) وثيوجنيسَ (Theognis) زملاءَ آريوسَ في الدراسة عند ليوسيان (**Lucien**) – وهم من الأساقفة الآريوسيين – وقربهم منه[135].

- قُسَطَنْطِينُ يدعو آريوسَ عام 327م ويسمح له بشرح عقيدته، ويعده بعقد مَجمع لإلغاء حرمانه الكنسيّ[136].

---

131 جون ديفنبورت، كتاب عذرا محمد و القرآن، لندن، 1869 صـ160

P 160 1869،London ،John Davenport،An apology for Mohamed & the Quran

132 هيوبرت جدين، الكنيسة المبكرة: ملخص تاريخ الكنيسة، ، نيويورك 1993صـ175

133 أنظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن 1932 صـ319

134 أنظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن 1932 صـ319

135 هيوبرت جدين، الكنيسة المبكرة: ملخص تاريخ الكنيسة، ، نيويورك 1993صـ179

136 المرجع السابق صـ181

- الأساقفةُ يوسوبياسُ وثيوجنسُ يُعلنانِ عقيدة التوحيدِ (الآريوسيةَ) على أنها العقيدة الأورثوذكسية[137].

- وفاة آريوسَ عام 336م[138].

- أختُ قُسَطَنْطِينَ والقَسُّ يوسوبياسُ؛ يؤثران على قُسَطَنْطِينَ، ويعمِّدَانِهِ على عقيدة التوحيد (الآريوسية) قبل وفاته بوقت قصير عام 337م [139] [140]، يقول عطاء الرحيم:

"كان قُسَطَنْطِينُ يعلمُ أن الدينَ الذي لا ينبَعُ من العقيدة وإنما بنتيجة التصويت؛ لا يمكن أخذه مأخذ الجد، المرء يؤمن بالله ولكن لا ينتخبه في عملية ديمقراطية[141].

- اعتنق الإمبراطورُ الجديد قُسْطَنْطِيُوسُ الثاني (Constantius II) – وهو ابن قُسَطَنْطِينَ – عقيدةَ التوحيدِ المعروفةِ بالآريوسية، ولم يعترف بسواها خلال فترة حكمه التي دامت 24 سنة[142].

- انتصر الآريوسيون بقيادة قُسْطَنْطِيُوسَ على المَانِيِّيْنَ[143]، وقويت في عهدهم الإمبراطورية الرومانية تحت راية التوحيد، ويؤرخ يوحنا النِّقْيُوْسِيُّ لذلك قائلا:

"لم يكن الآريوسيونَ وحدهم في هذه الأيام الذين أثاروا الشغب ضد الكنيسة؛ فالمَانِيِّوْنَ ثاروا من جانب آخر وبدأوا الاضطهاد ضد المسيحيينَ والشغبَ الكثير وإراقةَ الدماء، ومن ثَمَّ قامَ قائدٌ قويٌّ ضد مدينة روما – اسمه مَجِنْتِيُوسُ (Magentius) – واستولى على المملكة وقت غروب

---

137 المرجع السابق صـ181

138 المرجع السابق صـ181

139 Eusebius ،*Vita Const.* 4. 61-62; Jerome ،*Chron. ad annum* 2353

140 الكنيسة المبكرة: ملخص تاريخ الكنيسة، هيوبرت جدين،1993 نيويورك صـ170

141 Jesus a prophet of Islam ،AtauRahim ،London 1977. P.103

142 هيوبرت جدين، الكنيسة المبكرة: ملخص تاريخ الكنيسة، ، نيويورك 1993صـ181

143 الحركة المانية نسبة ل Mani ظهرت كدين جديد في بلاد فارس و منها انتشرت غربا في القرن الثالث الميلادي، طبقا لتاريخ الكنيسة لكورتز صـ126

الشمس[144] دون إذن قسطنطيوس، وسار إلى بلاد أُورَابِيْ[145] وتَقَاتَلَ مع قُسْطَنْطِيُوسَ، ومات خلق كثير من الجانبين. وبعد موت مَجِنْتِيُوسَ القويّ انتصر قسطنطيوس، واستولى على كل ما كان لمجنتيوس. ولما حاز قسطنطيوسُ النصر لم يمجد الرب كالملوك المسيحيين الذين قبله، بل تبع الآريوسيين في كل عمله"[146].

- أقام الموحدون مجامع عَقَدِيَّةً أدانتْ عقيدةَ الثالوثِ في مواجهةِ المَجَامِعِ التي أقيمت لإقرارها، بل قاموا بعزل الأساقفة المثلِّثِيْنَ وحَرَمُوْهُمْ كَنَسِيًّا، وعلى رأسهم أَثَنَاسْيُوسُ (Athanasius) أَسْقُفّ الإسكندرية الذي عيَّنُوا مكانه أحدَ أهمِّ الأسماء الآريوسية، وهو جُورْجِيُوسُ الكَبَادُوْكِيُّ الآريوسيُّ (George of the Kabadoki)، يقول يوحنا النِّقْيُوْسِيُّ:

"ثم اجتمع مَجمع الأساقفة الهراطقة بمدينة منطاليا[147] – وهي مدينةٌ إيطالية – بتدبير من هؤلاء العصاة الذين انتقصوا العقيدة الأرثوذكسية وأنكروا عقيدة الثالوث المقدس، واضطرهم قسطنطيوس أن يكتبوا كتاب إدانة ضد أَثَنَاسْيُوسَ الحواريّ بَطْرِيَرْكِ الإسكندرية مع من تبعه من الأساقفة"[148].

ولكنَّ مراد كامل يذكر تفاصيلَ أكثرَ عن قرارات ذلك المَجمع فيقول:

"عقد الإمبراطور قُسْطَنْطِيُوسُ (Constantius II) مَجمعًا في ميلان سنة 355م ضد البَطريركِ أَثَنَاسْيُوسَ، وكان معظم المجتمعين من الآريوسيين، وفيه عَزل أَثَنَاسْيُوسَ ونَصَّبَ بدلا منه جُورْجِيُوسَ الكَبَادُوْكِيَّ الآريوسيَّ بَطْرِيَرْكًا على الإسكندرية"[149].

---

144 هكذا في النص و يبدو أن الصواب هو "الأجزاء الغربية" إذ كام حاكما عليها كما ورد في التاريخ الكنسي لسقراط

145 أوروبا في النسخة الإنجليزية ص88

146 كتاب "تاريخ مصر ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ: رؤية قبطية للفتح الإسلامي" ترجمه من النسخة الحبشية د. صابر عبد الجليل، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، صـ(112).

147 هي مدينة ميلانو طبقًا للنسخة الإنجليزية صـ(72).

148 المرجع السابق صـ(113).

149 حضارة مصر في العصر القبطي، مراد كامل صـ41

• وتحت حكم جُولْيَانَ (المعروفِ بالمُرْتَدِّ) (Julian the Apostate)[(150)]؛ عادتِ الحرية الدينية لتعودَ الوثنية من جديدٍ على عرش الدولة الرومانية[(151)]، وتنزلَ عنه عقيدة التوحيد (الآريوسية).

• وفي عام 380م؛ عُمِّدَ الإمبراطورُ ثِيُودُوْسْيُوسُ (المعروف بالعظيم) (Theodosius the Great) على عقيدة التثليث، وبذلك اعتلت تلك العقيدة عرش الدولة مرة أخرى وأصبحت لها السلطة العليا، وأعلنت عقوبات مشددة تصل إلى الإعدام ضد كل العقائد الأخرى وثنية كانت أم آريوسية أم عقائد مسيحية أخرى، وذلك بهدف توحيد الإمبراطورية، وتوحيد الكنيسة الأورثوذوكسية، وأُعلن رسميًّا باسمه واسم شركائه في الحكم الإمبراطورين جرَاتِيَنَ (Gratian) وفَالِنْتِنْيَنَ الثانيَ (Valentinian II) تسميةُ الكنيسة بالكاثوليكية، وتسمية الآريوسيين بالهراطقة[(152)].

• في الفترة (380 – 395م)؛ تم إصدار خمسةَ عَشَرَ قانونًا ضد الآريوسيين، تقضي بعقوبات مختلفة منها الإعدام، وقد تسبب ذلك في قطع رؤوس كثيرة في أنحاء الإمبراطورية[(153)]، وكان من عادة الرومان قتلَ أعدائهم برميهم أحياءً للسباع الجائعة[(154)].

وتذكر كل كتب التاريخ[(155)] المذبحة البشعة التي قَتَلَ فيها الإمبراطور ثيودوسيوسُ أكثر من 15 ألف آريوسي في مدينة سالونيكا (Salonica) (بمقدونيا حاليا)، يقول يوحنا النِّقْيُوْسِيُّ:

"بعد ذلك ظهرت بدعٌ وفرقٌ عديدة في سالونيكا التابعة للآريوسيين، وحدثت اضطرابات في المدينة بين السكان والضباط، وألقى الآريوسيون الحجارة على الضباط، وقاموا بإهانة الإمبراطور،

---

[150] طبقا للموسوعة الكاثوليكية،أنه اعتلى عرش الإمبراطورية الرومانية من 361 إلى 363م و كان وثنيا، الموسوعة الكاثوليكية، المجلد الثامن، 1910 نيويورك

[151] أنظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن 1932 صـ323

[152] الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز . أوكسفورد 1996 صـ32

[153] المرجع السابق 33

[154] أنظر د. كورتز تاريخ الكنيسة، ، الناشر باتلر آند تانر، لندن 1932 صـ80

[155] على سبيل المثال لا الحصر كتاب فصول من تاريخ الكنيسة لباول ميلز Chapters in Church History by Powel Mills

فلما علم الإمبراطور بما فعل الآريوسيون؛ تظاهر بأنه في طريقه إلى روما، وزحف إلى سالونيكا بكل ضباطه وجنوده، وباستخدام الخديعة أرسلَ رجالًا مسلحينَ إلى سكان المدينة ودمروا الآريوسيين، وكان عدد هؤلاء الذين قتلوا بالسيف 15 ألفًا"[156].

ويبقى أمر التبرير الشرعي لتلك المذابح، واستخدام القوة ضد المخالفين في العقيدة ممن يفترض أنهم أتباع عقيدة مسالمة ومتسامحة تدعو لحب العدو والصلاة من أجله[157]، يقول عميدُ كانتربري ويس هنري عن القديس أوجستين[158] (Augustine of Hippo) الذي أجاز التعذيب والاضطهاد للمخالفين في العقيدة، استناداً إلى الآية الـ(23) في إنجيل لوقا، الإصحاح الرابعِ عشر، والتي تقول "فقال السيِّدُ للعبدِ: اخرج إلى الطرق والسياجات، وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي" وطبقًا لإنجيل الملك جيمس بالإنجليزية؛ فالكلمة المستخدمة هي (Compel them) أي أكرههم بالدخول:

ورد في (قاموس الأدب والتراجم المسيحية إلى نهاية القرن السادس):

"... أحد عواقب – المخالفةِ للمسيحيةِ – المترتبةُ على تعاليم أوجستينَ؛ كان اضطهاد الهراطقة كواجب من واجبات الدولة المسيحية. ففي أيامه الأولى خالف أوجستينُ هذا المبدأ، ولكن تحت ضغط مشكلة أتباع دوناتاس (Donatus) غَيّرَ رأيه، فمن أجل المتشككينَ والضعفاءِ ومن أجل مصلحة الأجيال القادمة؛ وجدَ المُسَوّغَ للاضطهاد في لوقا (14:23)"[159].

---

156 The chronicle of John of Nikiu chapter 82 ،P 88.

157 "لكني أقول لكم: أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم"، مَتَّى، إصحاح(5)، آية (44).

158 ولد بمدينة نوميديا (قسنطينة بالجزائر حاليا) عام 354م و مات 430م، يعتبر أحد الأعمدة الرئيسية للكنيسة و مركز علم اللأهوت و الحياة الكنسية في العالم الغربي، أوجوستين هو أعظم و أقوى و أكثر الأباء تأثيرا أنظر تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر باتلر آند تانر، لندن 1932 صـ303

159 Dictionary of Christian Biography and Literature to the End of the Sixth Century A.D. ،with an Account of the Principal Sects and Heresies. Author: Wace ،Henry (1836-1924)
"One unchristian corollary of Augustine's doctrine was the persecution of heretics as a duty of the Christian state. In his earlier days Augustine disapproved of this (*contr. Ep. Man.* 1–3; *Ep.* 237 ،; 93 ،5 ،2 ،etc.); but the stress of the Donatist controversy changed his mind; in the interest of the doubtful ،the weak ،the generations to come ،he found a sanction for persecution in St. Luke xiv. 23: *Cogite intrare."*

أما (موسوعة الأناجيل وتاريخ التعاليم)؛ فتذكر أن الأساقفة المسيحيين هم الذين طالبوا الإمبراطور باستخدام القوة مع الهراطقة للتخلص من الدوناتية[160]؛ فتقول:

"ووافق أوجستينُ نفسه على اللجوء للقوة متخذا إنجيل لوقا (14:23) مرجعا له، فأقيمَ مجمعٌ مقدسٌ بقِرطاج عام 405م طالَبَ الإمبراطورَ هونوريوسَ (Honorius) بإعلان قوانين جزائية ضد أتباع دوناتاس. ووافق الإمبراطور على المطالبة، وتم تغريمُ العوامِّ (من أتباع دوناتاس)، ونَفْيُ رجالِ الدين وإغلاقُ كنائسهم... إلخ.

وفي عام 414م؛ فَقَدَ أتباعُ دوناتاسَ كلَّ حقوقهم المدنية، وفي عام 415 م؛ مُنعوا من أي تجمعات بغرض العبادة وإلا واجهوا عقوبة الموت، ومع ذلك لم يهمَدوا حتى جاء الشرقيون (العرب Saracens) واحتلوا البلاد وقضوا على الكنيسة الإفريقية"[161].

---

160 الدوناتية نسبة لـ(Donatus)، يقول سكوت في (موسوعة الأديان والأخلاق): "الدوناتية في حقيقتها خلاف شخصي إقليمي بين طوائف الرهبان، وأكد أنها ليست هرطقة ولا خروجًا على الدين، وأن ميدانها كان في نيوميديا ومرطانية" C.A.Scott، Encyclopedia of Religions and Ethics: vol 4، P844

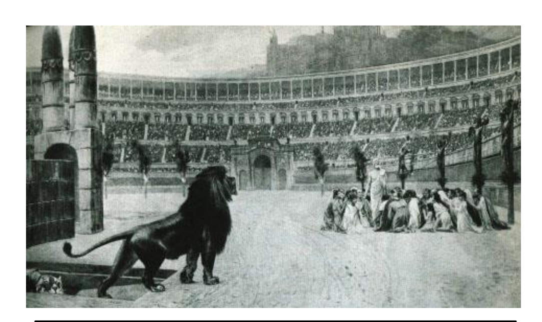
161 Albrecht Vogel، "Donatism،" Philip Schaff، ed. **، Dictionary of Biblical، Historical، Doctrinal، and Practical Theology** ***3، rd edn، Vol. 1. Toronto، New York & London: Funk & Wagnalls Company 1894، . pp.659-661.***

“Augustine himself consented to an appeal to force، referring to Luke xiv. 23. A synod of Carthage (405) petitioned the Emperor Honorius to issue penal laws against the Donatists. The petition was granted: laymen should be fined، clergymen banished، and the churches. closed. But Honorius could not afford to make any more enemies than those he already had، and in 409 he issued an edict of toleration; but this. edict raised such a storm in the Catholic Church ،،that it had to be immediately repealed. A disputation was then arranged in Carthage (411) ، *Collatio cum Donatistis*. Two hundred and eightysix Catholic and two hundred and seventy-nine Donatist bishops were present: Augustine and Aurelius were the speakers of the former; Primianus and Patilianus، those of the latter. For three days the debate lasted، but no result was. arrived at. Finally the imperial commissioner declared the Donatists vanquished، and very severe measures were decided upon against them. In 414 they lost all civil rights; in 415 they were forbidden to assemble for worshipping، under penalty of death. Nevertheless، they had not become extinct، when، in the seventh century، the Saracens occupied the country، and destroyed the African Church.”

ويذكر كتابُ (تاريخُ الكنيسة) تَغيُّرَ موقفِ القديسِ أوجستينَ من مسألة قهرِ وتعذيبِ المخالفين في العقيدة من المعارضة؛ لممارسة الإكراه بالقوة في مسائل العقيدة التي محلها القلب، إلى حد جعلها واجبة من أجل مصلحة الهراطقة أنفسهم، يقول الكتاب:

"أوجستينُ؛ الذين كان رأيه أولًا هو عدم استخدام القوة في مسائل العقيدة، تغير رأيه بفعل تشدُّدِ وصلابة موقف معارضيه، وأقر بأن الإكراه بالقوة واجب من أجل إعادة هؤلاء الهراطقة للكنيسة، ومن أجل خلاصهم، مستندًا لإنجيل لوقا الآية الـ(23)، من الإصحاحِ الرابعِ عشر (14:23)"[162].

كانت وسائل الرومان في اضطهاد المخالفين في العقيدة وتعذيبهم غير آدمية، استُخدم فيها الضرب بالسياط، والحرق على الكرسي الحديدي بعد أن يحمر لونه من شدة سخونة الهيكل المعدني، ثم يُلْقَوْا للسباع الجائعة لتقطعهم إربًا[163].



رسم تخيلي لاستخدام الرومان للسباع في تعذيب المخالفين في العقيدة



نقش على جدران معبد روماني للسباع و هي تهاجم أحد المخالفين في العقيدة

من المهم ألا يظن الناس عندما يقرأون عن اضطهاد وتعذيب النصارى الموحدين – المعروفين مَجَازًا بالآريوسيين – أنهم كانوا أقلية، بل العكس تمامًا، فقد اعترف أُنَاسٌ ذوو مكانةٍ كبيرةٍ بين معتنقي عقيدة التثليث؛ بأنهم كانوا أغلب النصارى، ومنهم القديس جيروم (Jerome) وهو أحد أهم الأسماء في تاريخ الكنيسة، حيث نِيطت به ترجمةُ الإنجيلِ من الإغريقية والعِبرية للاتينية،

---

162 تاريخ الكنيسة، كورتز، الناشر: باتلر آند تانر، لندن، ،1932 صـ(395).

163 تاريخ الكنيسة، كورتز، الناشر: باتلر آند تانر، لندن، 1932، صـ(80).

وتنقيحُ النصوص المحرفة[164]، إذ يقول عن حجم الآريوسيين في العالم: "معظم العالم صرخ وتعجب ليجد نفسه آريوسيا"[165].

أما القُسَطَنْطِينَيَّة فكانت آريوسية عن بَكرة أبيها عند اعتلاء ثيودوسيوس العرش كأول امبراطور روماني يعتنق عقيدة التثليث، يقول موريس وايلز:

"ليس فقط أن قيادة الكنيسة في القُسطَنْطِينَيَّة كانت آريوسية لمدة أربعين سنة، بل إن معظم السكان من النصارى في المدينة كانوا يميلون للآريوسية عن عقيدة نِيْقِيَّةَ (التثليث)"[166].

وفي عهد ثيودوسيوسَ؛ مُنع النصارى الموحدون من الكنائس، ومن الاجتماع حتى في المنازل، وبالرغم من ذلك استمر الآريوسيون في العبادة بالاجتماع في الهواء الطلق، وتنظيم مواكب للتسبيح التي كانت عادة ما تنتهي بصدامات مع مظاهرات غرمائهم الكاثوليك[167].

- وقد وصل تعذيب المخالفين في العقيدة مداه في الدولة الرومانية، حتى بعد الفتح الإسلامي لبعض أراضيها، بل تفنن الرومان في أساليب التعذيب، فيذكر كتاب (تاريخُ الكنيسةِ) أنه في عام 654م – أي بعد أربعةَ عَشَرَ عامًا من فتحِ المسلمين لمصر سنة 640م[168] – قام الإمبراطور قنسطنس الثاني (Constans II) بجلد أحدهم بالآلات الحادة التي تسبب نزيف الدم من مختلف أنحاء الجسم حتى الموت:

"وفي عام 654م؛ كان قنسطنس الثاني أول من جلد (بالآلات الحادة) حتى تفريغ الدم، والتعذيب البربري على أحد المعارضين العنيدين لنظامه المقترح لتوحيد العقيدة"[169].

---

164 تاريخ الكنيسة، د. كورتز، الناشر: باتلر آند تانر، لندن، 1932، صـ(372).

165 الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز، أوكسفورد، 1996، صـ(32)

166 نفس المرجع السابق صـ(32).

167 نفس المرجع السابق صـ(34).

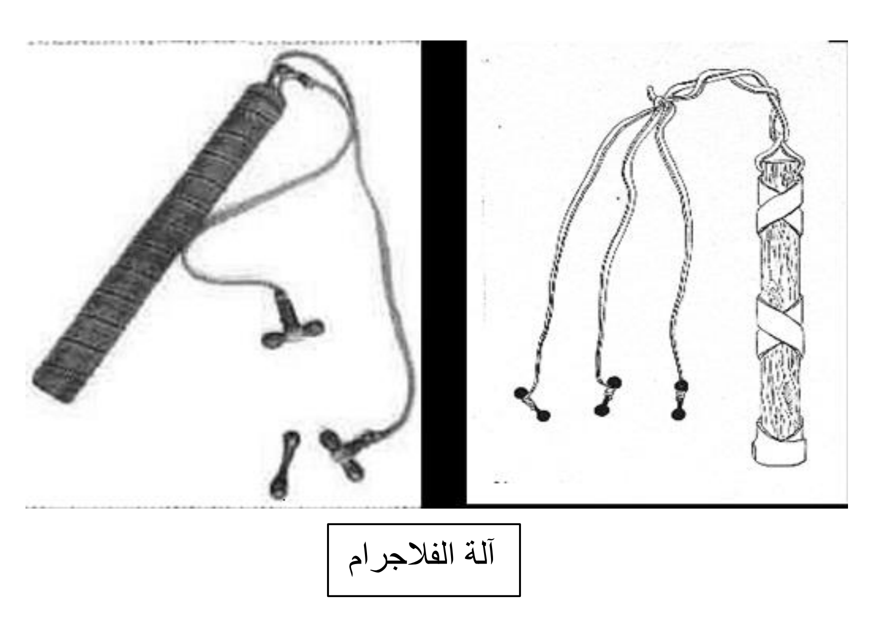
168 تاريخ الكنيسة، كورتز، الناشر: باتلر آند تانر، لندن، 1932، صـ(340).

169 المرجع السابق صـ .(243)

واللفظ المستخدم لعبارة (الجلد حتى تفريغ الدم) هو:

(Scourging to the effusion of blood)

ويشرح الدكتور جون ديسالفو[170] (John DeSalvo) هذه الطريقة في الجَلد، بأنها تمارَسُ باستخدام آلة الفلاجرام: وهي ذات يد خشبية، ولها سَوْطَانِ أو ثلاثة، وفي نهاية كلٍّ منها كُرَاتٌ من الرصاص؛ تسبب تقطيع الجلدِ، وجروحًا غائرة، وألمًا شديدًا؛ تسمي الفلاجرام[171].



آلة الفلاجرام

وتذكر موسوعةُ (تاريخُ العالم) أن العقيدة الآريوسية (عقيدة التوحيد) أصبحت العقيدة الوطنية للقبائل الجَرْمَانِيَّةِ، التي انتقلت من القوط إلى الوندال وغيرهم من القبائل، حتى أصبحت إيطاليا في القرن الخامس والسادس الميلادي في معظمها آريوسيينَ لوجود قبائل القوط الشرقيين (Ostrogoths)، وأسبانيا كذلك لوجود القوط الغربيين (Visigoths)، وشمال أفريقيا أيضا لوجود قبائل الوندال، ثم تستطرد الموسوعة:

---

170 مدير معهد أبحاث أهرام الجيزة.

171 ورقة بحث لدكتور جون ديسالفو، منشورة على موقع معهد أهرام الجيزة http://www.gizapyramid.com/LECTURE-SHROUD1.htm

"أعادت قبائل بربرية أخرى – وهي اللُّومْبَارْدُ (Lombards) – العقيدة الآريوسية لإيطاليا عند نهاية القرن السادس بعد كَبْتِهَا من معظم المناطق، نتيجة للحملة النَّشِطَةِ التي قام بها الأورثوذوكس بقيادة الإمبراطورِ المُثَلِّثِ جوستنيان (Justinian)، أما في أسبانيا الفيزيقوطية (Visigothic Spain)؛ فقد تحول الملك ريكارد (Richard) من الآريوسية إلى الكاثوليكية (الأورثوذوكسية) عام 589م، وبدأ في اضطهاد الآريوسيين (الموحدين)، ولكن بقاياهم ظلت موجودة في أسبانيا حتى انتصار المسلمين في 711م، أي بعد مرور أربعةِ قرونٍ منذُ اجتماع مَجمعِ نِيْقِيَّةَ عام 325م"[172].

- وكان اعتناق القبائل الجَرْمَانِيَّةِ للآريوسيةِ سببًا آخر لاضطهاد الآريوسيين في المقاطعات المختلفة للإمبراطورية، لأن ذلك جعلهم يبدونَ كَخَوَنَةٍ للدولة بالإضافة لاعتبارهم هراطقة، حيث كانت القبائلُ الجَرْمَانِيَّةُ عدوًّا تاريخيًّا للدولة الرُومانية، وأُطلق عليهم البرابرة[173].

- أما الآريوسيون في الغرب؛ فلم يكونوا أسعدَ حالًا من إخوانهم في الشرق، فعُزِلَتْ مجتمعاتهم وهُمِّشت، ودُفعوا للحياة في الجيتو[174](Ghetto)، يواسونَ أنفسهم على سوء أحوالهم الاجتماعية، معتبرين أنفسهم القلةَ الباقيةَ من الفئةِ المؤمنةِ في عالمٍ مفترس[175].

---

172 www.historyworld.net

173 الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز، أوكسفورد، 1996، صـ(38).

174 مصطلح يشير إلى مجتمع منعزل فقير مهمش اجتماعيًا واقتصاديًا، تعيش فيه فئة دينية أو عرقية، وقد أُطلق هذا المصطلح على أحياء اليهود في أوروبا أيام الاضطهاد.

175 المرجع السابق صـ(40).

الفصل الرابع

من خمسة فصول

الأدلة على وجود النصارى الموحدين حتى الفتح الإسلامي لمصر

الفصل الرابع: الأدلة على وجود النصارى الموحدين

حتى الفتح الإسلامي لمصر

لطالما ذَكرتْ كتبُ التاريخِ التي تُدَرَّسُ في المدارسِ أن الفاتحين المسلمين دخلوا مصرَ بقيادة عمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنه عام 20هـ دون مقاومة من المصريين، بل كانت الحربُ تدور بين العربِ الفاتحينَ والرومانِ فقط من مدينة إلى أخرى، ولطالما كانت هذه الرواية لغزًا غَيْرَ مفهوم، لدرجة أنَّ مؤرخًا مثل د. جمال حِمْدَان فسر ذلك الموقف السلبيَّ للمسيحيين المصريين على أنه نوع من أنواع المقاومة للاحتلال الروماني، يقول:

"وإذا كان هذا الاستعمار الذي تعاصر مع ظهور المسيحية؛ قد تحول إلى عصر اضطهاد ديني عنيف، وحروب طائفية رهيبة "عصر الشهداء"؛ فقد كان هذا الصراع الديني في حقيقته صراعًا قوميًّا وحروبَ تحرير ضد الاستعمار، أصبحت المسيحية والقبطية فيه رمزًا وتعبيرا عن القومية والمصرية، بل كان ظهور نظام الرهبنة به أيضًا نوعًا من المقاومة الوطنية السلبية كما يرى البعض، كما كان الموقف السلبيُّ – بلِ المُرَحِّبُ – من الفتح العربي موقفًا إيجابيًّا ضد ذلك الاستعمار المبتز الغاشم"[176].

ولكننا سنسوق الأدلة في هذا الفصل على وجود النصارى الموحدين في البلاد المفتوحة؛ وعلى الأخص مصر، مما يعطي بُعْدًا جديدًا لمسألة عدم مقاومة المصريين، بل وترحيب بعضهم بالفاتحين العرب كما سيتضح لاحقًا.

وسنستدل على وجود النصارى الموحدين بأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال الصحابة والكتب التاريخية.

[176] شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، جمال حمدان، دار الهلال، المجلد الثاني صـ(625).

أولًا: أدلة وجود النصارى الموحدين من القرآن الكريم:

وضَّحَ القرآن الكريم أن هناك فريقينِ رئيسيينِ من أهل الكتاب؛ من حيثُ موقِفِهم من دعوة خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم، فمنهم من يسارع إلى الإيمان بما جاء به النبي الخاتم، لما يجدونه مصدقًا لما هم عليه من عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى بن مريم ﷺ.

ومنهم من يبقى على معتقداته التي يعتبرها الإسلام كفرًا، مثل عقيدة الثالوث، وعقيدة تأليه السيد المسيح ﷺ ؛ بالرغم من إرشاد القرآن للنبيّ محمدٍ ﷺ بأن يبدأ دعوته لهم بأن يقص عليهم قصة ولادة المسيح وأمه العذراء البتول عليهما الصلاة والسلام، بل وتحذيرهم من المغالاة في دينهم، فيقول القرآن في الفريق الأول:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [177].

قال قتادة رحمه الله مُفَسِّرًا قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾:

---

[177] سورة المائدة (82 – 86).

"نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى، فلما بعث الله محمدًا ﷺ آمنوا به فأثنى الله عليهم"[178].

ويقول صاحب الظلال محذرًا المسلمين الذين يُخطِئونَ فهم هذه الآية ظانّين انطباقها على كل من قالوا "إنا نصارى":

"فإن الكثيرين يخطئون فهم مدلولها، ويجعلون منها مادة للتَّمَيُّعِ المؤذي في تقدير المسلمين لموقفهم من المعسكرات المختلفة، وموقف هذه المعسكرات منهم. إن الحالةَ التي تصوِّرُهَا هذه الآيات؛ هي حالةُ فئةٍ من الناس قالوا: إنا نصارى، هم أقربُ مودةً للذين آمنوا ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، فمنهم من يعرفون حقيقة دين النصارى فلا يستكبرون على الحق حين يتبين لهم".

بينما يقول القرآن في الفريق الثاني في الآيات التي سبقتها:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [179] .

---

[178] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الريان للتراث، 1990، ص(2252).

[179] سورة المائدة (72 – 76).

ويعزز القرآن فكرة وجود فريق موحد من بين أهل الكتاب حتى وقت نزول القرآن، فيقول المولى عز وجل في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[180]، ولما كان المولى عز وجل قد توعد في آيات المائدة (72) و(73) – التي سبق ذكرها – مَنْ كفروا به من النصارى بالعذاب الأليم؛ فيصبحُ من المؤكدِ أنَّ آيةَ البقرةِ هذه تتحدث عن فريقٍ آخرَ منهم، مُبَشِّرَةً إياه بـ(ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)، يقول الدكتور الأطيرُ بهذا الشأن:

"هذا يعني أن (التوحيد المجرد)؛ كان لا يزال له أنصاره بين النصارى حتى زمنِ الإسلام، إذ لا يعقل أن يقصد بهذه البشارة كل فرقهم، وقد بلغ الخلاف بينهم أقصى آماده من التناقض والشقاق"[181].

ثانيًا: أدلة وجود النصارى الموحدين من السنة النبوية المطهرة:

لم تخْلُ السنة المطهرة من ذكرٍ لوجود الموحدين حتى زمان النبيّ العدنانِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ عليه وعلى آله وصحبِهِ أفضلُ الصلاةِ والسلام، فقد ورد في صحيحِ مسلمٍ ومسندِ الإمامِ أحمدَ رحمهما الله؛ حديثٌ يخبر فيه المصطفي ﷺ عن مقت الله تعالى لأحوال أهل الأرض كلِّهِمْ نتيجة كفرهم به، وإشراكهم معه في العبادة آلهة أخرى، وذلك في الفترة التي سبقت رسالة النبي محمد ﷺ؛ إلا (بقايا من أهل الكتاب) الذين بَقُوْا على الحق حتى أرسله الله تعالى بالقرآن الكريم:

فعن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيّ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: أَلا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ – مِمَّا عَلَّمَنِي – يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدِي حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، فَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ –

[180] سورة البقرة (62).

[181] عقائد النصارى الموحدين، حسني يوسف الأطير، دار الأنصار، القاهرة (عابدين)، 1985.

عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ – إِلا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا...إلخ الحديث[182].

يقول الإمام النووي شارحًا قَوْله ﷺ: "وَإِنَّ اللَّه تَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْل الْأَرْض فَمَقَتَهُمْ – عَرَبهمْ وَعَجَمهمْ – إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْل الْكِتَاب":

"الْمَقْت: أَشَدّ الْبُغْض، وَالْمُرَاد بِهَذَا الْمَقْت وَالنَّظَرِ: مَا قَبْل بَعْثَة رَسُول اللَّه ﷺ ، وَالْمُرَادُ بِبَقَايَا أَهْل الْكِتَاب: الْبَاقُونَ عَلَى التَّمَسُّك بِدِينِهِمُ الْحَقّ مِنْ غَيْر تَبْدِيل".

وسبحان الله العظيم فهكذا رأوا أنفسهم أنهم "بقايا من أهل الكتاب"، يقول موريس وايلز عن الآريوسيين في غرب أوروبا:

"عُزِلَ الآريوسيُّوْنَ للعيش في مجتمعاتٍ منفصلةٍ ومُهَمَّشَةٍ، ويكشف الكاتب عن خصائصِ عقلية هؤلاء المرحلين للعيش في جيتو، ويواسون أنفسَهُم على سوءِ حظهم الاجتماعي بالنظر إلى أنفسهم على أنهم بقايا المؤمنين في عالمٍ معادٍ"[183].

ثالثًا: أدلة وجود النصارى الموحدين من أقوال الصحابة:

- قال عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ تعليقًا على الآية الكريمة ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى، ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، يقول:

"ضيعتِ النصارى الإنجيلَ، وأدخلوا فيه ما ليس منه، وكانوا أربعةَ نَفَرٍ الذين غيَّرُوْه، لوقاس ومرقوس ويوحنس ومتيوس، وبقىَ قِسِّيْسٌ على الحق وعلى الاستقامة، فمن كان على دينه وهديه فهو قسيس"[184].

---

[182] صحيح مسلم، كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) في باب (الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة). ومسند الإمام أحمد في مسند الشاميين.

[183] الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز، أوكسفورد 1996 صـ(40).

[184] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الريان للتراث، 1990، صـ(2284).

- وتروي كتب التاريخ والسِّيَرِ[185] أنَّ بعضَ نَصَارَى البَرْبَرِ من شَمَالِ إفريقيا ذهبوا إلى عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنه يطلبون الدخول في الإسلام قبل فتح مصر، فيشير الدكتور حسين مؤنس إلى موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم، وبكائه بعد أن تذكر وصف رسول الله ﷺ لأحوالهم، والذي سجله الشُّطَيْبِيُّ في مخطوطة نادرة محفوظة في دار الكتب المصرية، وينقل عنه د. حسين مؤنس قائلًا:

"بل إن الشُّطَيْبِيَّ يروي في كتابِ (الجُمَانُ فِي أخبَارِ الزَّمَانِ)؛ روايةً تدل على أن بَرْبَرَ بَرْقَةَ لم يكتفوا بهذا الخضوع السريع للعرب، وإنما أرسلوا رسلًا منهم إلى الفاتح العربي يعرضون عليه الدخول في الإسلام على يديه، فاستطاع عمرُو بنُ العاصِ رضي الله عنه أن يفهم ما يريدون بواسطة مترجِمٍ نقل إليه كلامهم، فأرسلهم إلى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه الذي رحب بهم أحسن ترحيب، لأنَّ أحدَ الحاضرينَ أخبره أنهمُ البَرْبَرُ أولادُ بَرِّ بنِ قَيْس.

فلما سألهم عمر رضي الله عنه عن عاداتهم وعلاماتهم أخبروه بها فبكى، لأن النبي ﷺ كان قد تنبأ بفتح بلادٍ؛ لأهلها هذه الصفات، ثم حَمِدَ الله على ذلك، وبعث إلى عَمْرٍو رضي الله عنه أن يُقَدِّمَهُمْ على الجند، وحَمَّلَهُمْ بالهدايا"[186].

---

185 كتاب الجمان في أخبار الزمان، لمحمد الشطيبي المغربي صـ(123) نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

186 فتح العرب للمغرب، حسين مؤنس، القاهرة، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، باقتباس من كتاب (الجمان في أخبار الزمان) للشُّطَيْبِيِّ.

رابعًا: أدلة وجود النصارى الموحدين من كتب التاريخ:

يعتمد البحث في إثبات وجود الآريوسيين بمصرَ وقتَ الفتحِ الإسلامي لمصر على مراجعَ تاريخيةٍ، أهمُّهَا كتابُ (تاريخُ مصرَ) ليوحنا النِقْيُوْسِيّ[187] بنسختيه العربية[188] والإنجليزية[189]، لذلك فإنه من المهم التأكيد على مصداقية هذا الكتاب من خلال أمور:

- أولًا: التأكد من عدم وجود مصلحة لهذا المؤرِّخِ في إثبات وجود النصارى الموحدين حتى زمن الفتح، ويتحقق ذلك بإثبات انتمائه للنصارى المُثَلِّثَةِ.

- ثانيًا: التأكد من أمانة الترجمة: ويتحقق ذلك بمراجعة الترجمة العربية التي قام بها مترجِم مُسلِمٌ[190] على الترجمة الإنجليزية التي قام بها مترجِمٌ غيرُ مُسلِم[191].

- ثالثًا: التحقق من مصادرَ موثوقةٍ أن الكاتب قد عاصَرَ أحداث الفتح، ويتحقق ذلك بالنظر في سيرته التي نشرتها عنه الكنيسة المصرية.

موقف أقباط مصر المسيحيين من كتاب تاريخ مصر ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ:

يذكر كتابُ (تاريخُ الأمَّةِ القِبْطِيَّةِ)[192] الذي تُدَرِّسُهُ الكنيسةُ المصريةُ في مدارسِ الأحدِ كمرجعٍ مِنْ مراجعِ تاريخِ المسيحية في مصر، في بابِ (أشهرُ الرجالِ والحوادثِ منذُ الفتحِ العَرَبِيّ):

187 طبقا لكتاب تاريخ الأمة القبطية – الحلقة الثانية (خلاصة تاريخ المسيحية في مصر) صـ(47) لكامل صالح نخلة وفريد كامل عضوا لجنة التاريخ القبطي، نشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية: يوحنا النِّقْيُوْسِيّ كان أسقفًا مصريًّا لأبرشية نِقْيُوْسَ (ابشتاي بالمنوفية) في النصف الثاني في القرن السابع، وكان مفتشا للأديرة ومديرا لها، وكان كثير الاطلاع على صحف الأقدمين، حاصلا على قسم موفور من المعارف الدينية والأدبية و التاريخية.

188 كتاب "تاريخ مصر ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ – رؤية قبطية للفتح الإسلامي"، ترجمه من النسخة الحبشية د. صابر عبد الجليل، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

189 The Chronicle of John Bishop of Nikiu ،translated from Zotenberg’s Ethipoic text by ،printed by Williams and Norgate ،London 19161 ، ملحق رقم

190 هو الدكتور عمر صابر خليل.

191 R.H.Charles.

192 كتاب تاريخ الأمة القبطية – الحلقة الثانية (خلاصة تاريخ المسيحية في مصر) صـ(47) لكامل صالح نخلة وفريد كامل، عضوا لجنة التاريخ القبطي، نشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية – سبتمبر 1949.

"ومن أهم مآثره (يوحنا النِّقْيُوْسِيّ) المُؤَلَّفُ الذي وضعه في تاريخ مصرَ باللغة القِبْطِيَّةِ، ويعدُّ مِنْ أفضلِ كُتُبِ التاريخِ نظرًا لاحتوائه آلافَ الحوادثِ التي حدثت أيام الفتح العربي، ومنها ما حدث في أيامه وعلى مرأي منه، وقد وُجِدَ مَا دَوَّنَهُ بِه مُطَابِقًا لِمَا كَتَبَهُ كِبَارُ المؤرخينَ عن تاريخِ مصرَ القديم، وقد تُرْجِمَ هذا المُؤَلَّفُ النفيسُ مِنَ القِبْطِيَّةِ إلى اليُونَانِيَّةِ فَالعَرَبِيَّةِ فَالحَبَشِيَّةِ، ولكنْ لَمْ تَبْقَ مِنْ تَرَاجِمِهِ سِوَى النسخةِ الحَبَشِيَّةِ التي نقلها عن العربيةِ الشَّمَّاسُ غِبْرِيَالُ المِصْرِيُّ الرَّاهِبُ، وكان قائدا للجيشِ الحبشيّ مُنْذُ (300) سنة، واهتم الدكتورُ زُوتِنْبِرْج بنشرِ هذا التاريخِ باللغتينِ الفَرَنْسِيَّةِ والحَبَشِيَّةِ مَعًا"[193].

وقد أشار الأَسْقُفّ يُوْحَنَّا النِّقْيُوْسِيُّ عدة مراتٍ لوجود الآريوسيين في مصر حتى دخول العرب الفاتحين بقيادة الصحابيّ الجليلِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنه، مرات بالتصريح بلفظ الآريوسيين، ومرات بذكر صفاتهم مثل (من جحدوا العقيدة الأورثوذكسية) أو (من جعلوا المسيح مخلوقًا).

- **<u>إشارات صريحة بآريوسية بعض المصريين القبط، وانتقامهم من الأقباط الأورثوذوكس:</u>**

يقول النِّقْيُوْسِيُّ: "وظلَّ عمرُو رئيسُ جندِ المسلمينَ خارجَ حِصْنِ بَابِلْيُونَ، وحاصرَ الجنود الذين كانوا به، وتسلموا رسالة من لدنه: ألا يقتلوهم، وأن يتركوا لهم عدة الحرب وهي كثيرة. ثم أمرهم أن يخرجوا من الحصن، فأخذ هؤلاء قليلًا من الذهب وساروا".

ثم يستطرد قائلا في الفقرة التالية: "وبهذا المِنْوَالِ تسلمَ حصنَ بابليونَ بمصرَ في اليوم الثاني من (عيد) القيامة، وجزاهمُ الربُّ لأنهم لم يُكرموا آلامَ الخلاصِ لسيدِنَا ومخلصنا يسوعَ المسيحِ الذي وهبَ الحياةَ لمن يؤمنون به، ولهذا جمعهم الرب بعدهم، وفي يوم عيد القيامة المقدسة هذا؛

---

[193] H. Zotenberg ‹in the "Journal Asiatique"7 ‹th series ‹vols. X ‹XII ‹XIII (Paris79−1877 ‹) ‹"La Chronique de Jean de Nikioû ‹notice et extraits" (also in bookform ‹Paris1879 ‹); later it was published in its entirety ‹with a French version ‹by the same scholar; "La Chronique de Jean de Nikioû" (Paris1883 ‹) ‹in "Notices et Extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale" ‹t. XXIV ‹I ‹pp. 125-605) (also separately ‹Paris1883 ‹).

أطلقوا المسجونين الأرثوذكسيين[194]، ولم يتركهم أعداء المسيح هؤلاء دون أذى، بل أساءوا إليهم وقطعوا أيديهم. وكان هؤلاء يبكون ودمعهم يسيل على وجناتهم، واحتقروهم في هذا اليوم كما هو مكتوب في شأن هؤلاء النجسين: أنهم لوثوا الكنيسة بالعقيدة النجسة وارتكبوا إلحاد وعصيان طائفة **الآريوسيين**[195] بما لم يرتكب مثله جماعة الوثنيين والبربر[196]، وانتقصوا عبيده ولم نجد من يصنع مثل هذا ممن يعبدون الأصنام الكذبة. وحَلُمَ الربُّ على المعتزلةِ والهراطقةِ الذين تَعَمَّدُوا مَرَّةً ثانية بسبب الخضوع للملوك الأقوياء، وهو الرب الذي يجازي الجميعَ كلَّ واحدٍ بمثلِ عملِهِ، ويقضي بالدينونةِ على من ظَلَمَ، فكيف حينئذٍ بالأكثر؟ يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نَحْلُمَ على التدبيرِ والدينونةِ التي يصنعونها بنا!! وكانوا هم يظنون أنهم يكرمون سيدنا المسيح بعملهم هذا، ووُجدوا هم ضالين بعقيدتهم، ولم يكونوا جاحدين لرئيسهم، بل كانوا يدينون الذين لم ينضموا إليهم في العقيدة. حاشا لله، إنهم لم يكونوا عبيد المسيح، بل كانوا يظنون بأفكارهم أنهم هكذا"[197] (انظر الملحق رقم 2).

ونلاحظ في النص أن يُوْحَنَّا النِّقْيُوْسِيَّ يتحدثُ عن ثلاثِ فئاتٍ من المسيحيين:

- الفئةِ الأولى: هم الرومان الكاثوليك الذين انهزموا أمام المسلمين، قائلًا "وجزاهم الرب لأنهم لم يكرموا آلام الخلاص لسيدنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي وهب الحياة لمن يؤمنون به".

- الفئةِ الثانية: وهم المصريون الأورثوذوكس الذين سجنهم الرومان الكاثوليك، وأطلق سراحهم المسلمون بمجرد تسلمهم حصن بابليون.

---

[194] الذين كانوا مسجونين في الحصن من قبل الرومان.

[195] يلاحظ إطلاق عمرو بن العاص للأرثوذكس، وادعاء يوحنا بأنهم عُذبوا من قِبَل المصريين الأريوسيين وليس العرب، وفي ذلك إشارة إلى أنهم كانوا ينتقمون منهم لسبق اضطهادهم لهم لرفضهم عقيدة التثليث، وقتل منهم الكثير على مر الـ(300) سنة منذ إقرار عقيدة التثليث في مَجمع نِيْقِيَّةَ عام 325 ميلادية.

[196] يقصد الرومان عند دخولهم مصر، وهم على عقيدة عبادة الأصنام وقبل اعتناقهم للمسيحية.

[197] كتاب تاريخ مصر ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ، الباب الثاني والخمسون، وفي النسخة الإنجليزية الباب (117).

- أما الفئة الثالثة: فهم الموحدون الآريوسيون، الذين يصفهم تارة بمسماهم المستخدمِ في هذا الوقت وهو الآريوسيون، وتارة يصفهم بالملحدين والعصاة والنجسين، ويتهمهم بتعذيب المصريين الأورثوذوكس وتقطيع أيديهم، كما اتهمهم بتلويث الكنيسة بعقيدتهم النجسة، يقول: "كما هو مكتوب في شأن هؤلاء النجسين: أنهم لوثوا الكنيسة بالعقيدة النجسة، وارتكبوا إلحاد وعصيان طائفة **الآريوسيين**".

ونلاحظ من قوله "حاشا لله، إنهم لم يكونوا عبيد المسيح، بل كانوا يظنون بأفكارهم أنهم هكذا"؛ أنه كان يتكلم عن فئة نسبت نفسها للسيد المسيح عليه السلام، ولأن النِّقْيُوْسِيَّ ينتمي لفئة أخرى منافسة تنسب لنفسها نفس الأمر، ولكنها مخالفة في العقيدة؛ فهو يعيب على الفئة الأخرى ضلالها الفكري.

وعند المقارنة بين النسختين الموجودتين لدينا من الكتاب، وجدنا اختلافًا بين العربية والإنجليزية في هذه الفقرة، فالنسخة العربية وصفت الآريوسيين بالمعتزلة والهراطقة، ولكنهم في النسخة الإنجليزية موصوفون بالملاحدة والهراطقة[198].

ويلاحظ اختلافٌ آخرُ أيضًا بين النسخة العربية والنسخة الإنجليزية في الفقرة التالية من النسخة العربية "ولم يكونوا جاحدين لرئيسهم، بل كانوا يدينون الذين لم ينضموا إليهم في العقيدة"، أما النسخة الإنجليزية؛ فذكرت تلك الفقرة بالشكل التالي: "لم يكونوا ملحدين برغبتهم لكنهم عذبوا هؤلاء الذين يخالفونهم في العقيدة"[199].

- **<u>ويؤرخ يوحنا النِّقْيُوْسِيّ التحاق فئة من المصريين بجيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وقتالهم جنبًا إلى جنب لفتح المدن المصرية حتى قبل فتح حصن بابليون:</u>**

---

[198] “And God has been patient with the apostates and heretics…” Chronicle of John of Nikiu ،P.187.

[199] “They did not indeed voluntarily apostatized ،but they persecute those who agree not with them in faith” Chronicle of John of Nikiu ،P.187.

"وعندما وصل هؤلاء المسلمون مع المصريين الذين جحدوا عقيدة المسيحية وانضموا إلى عقيدة هذا المفترس..."[200].

وهذا الكلامُ يدلُّ على أن المصريين المسيحيين لم يكونوا فقط أورثوذوكسَ وكاثوليك، لأن الكاثوليك (الخلقدونيين) بالطبيعة سيميلون لأهل مذهبهم الرومان، ولو كانوا أورثوذكسَ لَذَكَرَهَا صراحةً لأنه يؤرخ تاريخهم، لكنهم فئة ثالثة جحدت العقيدة المسيحية – من وجهة نظره – مثل التثليث وألوهية السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، وانضمت للمسلمين حتى قبل قتالِهم الرومان وانتصارِهم عليهم وفتحِ حصن بابليون، وفي ذلك مجازفة شديدة لا يفعلها إلا قوم مخالفون في العقيدة، ومضطهدون رأوا في عقيدة المسلمين شِبْهًا كبيرًا بعقيدتهم.

- <u>**إشارات صريحة بانقسام المصريين إلى فريقين، اختار أحدهما الانضمام للمسلمين في حربهم للرومان:**</u>

يقول النِّقْيُوْسِيُّ: "وكان بين أهل (الوجه) البحري خصومة شديدة، وانقسموا قسمين: قسمٌ انضم إلى تيودور[201]، وقسمٌ آخرُ أراد أن ينضم إلى المسلمين، وفي الحال نهض قسمٌ على آخر، ونهبوا أموالهم وأحرقوا بلادهم بالنار..."[202].

فذكره لـ(الخصومة الشديدة) و(نهوض قسم على آخر) و(نهب الأموال وحرق المدن)؛ كل ذلك يذكرنا بأحداث الفتنة الطائفية في (الزاويةِ الحمراءِ) و(الكُشْحِ)، فيتساءل المرء؛ لماذا تكون تلك الخصومة الشديدة بين أبناء الشعب المصري المسكين، الذي عانى من ويلات الاحتلال لعدة قرون، حيث احتل الرومان والفرس أرضه، وها هم العرب قادمون! ألم يكن الأولى بالمصريين أن يتوحدوا في الشدائد، ويعاونوا بعضهم بدلًا من هذه الأحداث الفظيعة، من نهب وقتل وحرق

---

[200] تاريخ مصر ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ، الباب التاسع والأربعون صـ(198).

[201] القائد الروماني.

[202] المرجع السابق: (الباب الرابع والخمسون).

بمجرد دخول محتل جديد؟ فلابد وأن بين أبناء هذا الوطن شَقٌّ عميق، ولابد وأن فريقًا قام ينتقم من فريقٍ آخرَ مستغلًا وجود تقارب عَقَدِيّ بينه وبين المحتل، مثل عقيدة التثليث التي اشترك فيها المصريون الأورثوذوكسُ والرومانُ الكاثوليك على حد سواء؛ ليضطهدَ الفريقَ الآخر من المصريين الآريوسيين الموحدينَ، ويمارسَ ضده أبشع وسائل التطهير العرقي، لذلك لما وجد الآريوسيون غازيًا جديدًا لمصر يتفق معهم في العقيدة[203] أحسوا بالقوة، وربما مارسوا أيضًا اضطهادًا وتعذيبًا للأورثوذوكس لا يمكن التحقق من صحته، لأن المصدر الوحيد الذي يذكره هو كتاب يوحنا النِّقْيُوْسِيّ، وهو أحدِ رموز الكنيسة الأورثوذكسية، مما يظهر هناك تضاربًا كبيرًا في المصالح يجعلنا نضع اضطهاد الآريوسيينَ للأورثوذوكسِ موضع الشك حتى يثبت من مصدر محايد.

<u>وعن الفتنة الطائفية بين الموحدين والمُثَلِّثَة يذكر هيوبرت جدين:</u>

"بعد وقت قصير من دخوله إلى العاصمة الشرقية نيكوميديا[204]؛ عَلِمَ قُسَطَنْطِينُ[205] أن المجتمع المسيحي في الشرق، مثلَ كنيسة شمال أفريقيا؛ قد تقطَّعَ بسبب فتنةٍ وصلت بالفعل إلى حد خطير، وصفها يوسوبياسُ[206] بـ(النيران العظيمة)، والتي بدأت في الإسكندرية[207] ومنها خرجت إلى أنحاء مصر وليبيا المجاورة ومُقاطعات شرقية أخرى، وقَسَّمَتِ الأساقفة والعامَّةَ إلى مُعَسْكَرَيْنِ، وقام كل معسكر بمهاجمة الآخر بضراوة حتى أصبحت (أُخُوَّةُ المسيحيينَ) موضع سخرية الأعمال المسرحية الوثنية"[208].

---

[203] أي عقيدة أن المسيح مخلوق.

[204] هي حاليًا مدينة إزميت بتركيا، وكانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية منذ عام 286م؛ في عهد الإمبراطور ديقولتيان، حتى أعلن قسطنطين العظيم نقل العاصمة لمدينته الجديدة القسطنطينية عام 330م.

[205] قسطنطين العظيم، أحد أهم حكام الدولة البيرنطية وأول من تنصر منهم، ولكنه تعمد على عقيدة التوحيد (الأريوسية) بواسطة الأسقف يوسوبياس عام 336م، ليوجه بذلك أكبر ضربة للمثلثة.

[206] زميل آريوس في الدراسة على العلامة ليوسيان، وشريك آريوس في عقيدة خلق المسيح، كان أسقفًا لبيروت ثم صار أسقفً عاصمة الدولة البيزنطية عام 336م.

[207] هي مدينة تقع شَمَال مصر، وأحد أهم المدن في التاريخ المسيحي، حيث منها بدأ آريوس دعوته للبقاء على التوحيد وعدم تأليه المسيح عليه السلام.

[208] هيوبرت جدين، الكنيسة المبكرة: ملخص تاريخ الكنيسة، نيويورك، 1993، صـ(171).

- **<u>إشارات صريحة إلى دخول الآريوسيين في الإسلام فورا بعد الفتح:</u>**

يشير المُثَلِّثَةُ دائمًا للآريوسيين بالملاحدة أو الهراطقة، وهي لعبة طفولية قديمة، إذ يقول الطفل للآخر "أنا سميتكم هراطقة أولا، إذا أنتم الهراطقة"، وهكذا للأسف – أو لحسن الحظ إذ أنه في صالح البحث – فعل يوحنا النِّقْيُوْسِيّ في آخر الباب السادس والخمسين؛ عندما أشار لدخول الآريوسيين في الإسلام، وتطاول على رسول الله ﷺ بلفظ لا يدل إلا على حِقْدِ مَنْ كَتَبَهُ، وإن كنا نتمنى أن يكون مدسوسًا عليه من المترجِمِ الذي ترجم النسخة القبطية للغة الحبشية، وهي أقدمُ مخطوطٍ من الكتاب حاليًّا، يقول النِّقْيُوْسِيُّ:

"والآن؛ كثير من المصريين الذين كانوا مسيحيين كَذَبَةٌ، وأنكروا العقيدة المقدسة الأورثوذكسية والمعموديَّةَ الحيَّة، وساروا في عقيدة الإسلام أعداء الرب، وقبلوا التعليمَ الرِّكْسَ للحيوانِ الذي هوَ محمدٌ"[209] ﷺ.

ثم يستطرد يوحنا النِّقْيُوْسِيُّ واصفًا الهراطقة بالملاحدةِ بقوله:

"والآنَ نُمَجِّدُ ربَّنَا يسوعَ، ونباركُ اسمَهُ المقدسَ في كل وقت، لأنه نجانا نحن المسيحيين من ظلال الوثنيين الضالين ومن عصيان الملاحدة[210] الهراطقة حتى هذه الساعات"[211].

ولا يُضَيِّعُ يوحنا النِّقْيُوْسِيُّ الفرصة ليُرجع سبب الفيضانات والبراكين وخسوف الشمس وهلاك الناس؛ بل وسقوط الدولة الرومانية؛ إلى الخلاف مع العقيدة الأورثوذكسية، سواءٌ مِنْ قِبَلِ الذين قسموا المسيح إلى طبيعتين[212]، أو مِنْ قِبَلِ الموحدين الآريوسيينَ الذين اعتبروه مخلوقًا:

---

209 تاريخ مصر ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ: النسخة الإنجليزية صـ(201)، وسامحنا الله لمجرد ذكر هذا التطاول على خير خلق الله ﷺ.

210 الهراطقة العصاة، في النسخة العربية من (تاريخ مصر) ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ صـ(222).

211 نفس المرجع السابق (تاريخ مصر) ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ النسخة الإنجليزية صـ(201).

212 إشارة للمُثَلِّثَة الكاثوليك الذين اعتنقوا عقيدة الطبيعتين للمسيح بعد مجمع خلقدونيا عام (451) م.

"تمَّ هذا الكتابُ الذي وضعه يوحنا المديرُ[213] مَطْرَانُ مدينة نِقْيُوْسَ إفادةً للنفس، وتضمن الأسرار الإلهية والعجائب العالية التي أصابت منكري الإيمان في وقتِ تزلزلت الأرضُ بسبب إنكاره، وهلكت نِيْقِيَّةُ المدينةُ العظيمةُ، وسقطت النار من السماء، وفي وقتِ أظلمت الشمس من ساعات الصباح حتى المساء، وفي وقت ارتفعت الأنهار وأغرقت قرى كثيرة، وفي وقت تهدمت البيوت وهلك ناس كثيرون وسقطوا في عمق الأرض، وهذا كله بسبب أنهم قسموا المسيح إلى طبيعتين[214]، وجعله بعضهم مَخلوقًا[215]، وزال تاجُ المملكةِ عن ملوكِ الرومِ، وتسلط عليهم الإسْمَاعِيْلِيُّونَ[216] والفَوْزِيُّوْنَ[217]؛ لأنهم لم يسيروا بالإيمان الحقّ بسيدنا يسوعَ المسيحِ، وقسَّمُوا ما لا ينقسم"[218].

---

[213] كان مديرا لتفتيش الأديرة.

[214] إشارة للمُثَلِّثَةِ الكاثوليك الذين اعتنقوا عقيدة الطبيعتين للمسيح بعد مجمع خلقدونيا عام (451) م.

[215] إشارة للآريوسيين.

[216] أي المسلمون.

[217] أي أكراد الشام.

[218] أوردت النسخة العربية هذه الفقرة على أنها خاتمة الكتاب كتبها المترجم الحبشي، بينما النسخة الإنجليزية أوردتها على أنها من كلام يوحنا النِّقْيُوْسِيّ، كما هو مبين في الملحق رقم (3).

الفصل الخامس

من خمسة فصول

اهتمام النبي ﷺ بأمر الآريوسيين

الفصل الخامس: اهتمام النبي ﷺ

بأمر الآريوسيين

بعد أن أثبتنا فيما سبق موافقة عقيدة الآريوسيين لعقيدة الإسلام، وتعرضهم للاضطهاد والتعذيب والقتل مما يعرضهم للفتنة في دينهم، وبعد أن أثبتنا وجود الآريوسيين في الدولة البيزنطية الرومانية حتى وقت النبي ﷺ والفتوح الإسلامية فيما بعد، نثبت في هذا الفصل اهتمامَ النبي ﷺ بأوضاعهم، وشعورَه بالمسئولية تجاه نجدتهم.

ففي الوقت الذي كان الآريوسونَ يُلقَوْنَ فيه للسباعِ أحياءً، ويُجلدون بالآلات الحادة التي تصفي الدم من أجسامهم، ويذبحون كالخراف في أنحاء الدولة الرومانية من شرقها إلى غربها كما سبق ذكره؛ كانت رحى الحربِ تدور بين إخوانهم المسلمين بقيادة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام وبين القبائل الوثنية من عَبَدَةِ الأصنام في الجزيرة العربية.

ولقد فوجئ المسلمونَ بقَبولِ النبيِّ ﷺ لصلح الحديبية بالرغم من الشروط المجحفة، التي رأي فيها المسلمون إهانة لهم وإذلالًا لا يتناسب مع موقفهم، إذ نَصَّتِ المعاهدة على عدم رد المشركين لمن يأتيهم من عند النبي ﷺ مرتدا عن الإسلام، بينما يلتزم النبي ﷺ بِرَدِّ كلِّ من يأتيه من عندِ قريشٍ مُسلمًا[219]، حتى كاد يُجَنُّ جنون كثير من الصحابة، خاصَّةً بعد إعادة أبي جَنْدَلَ رضي الله عنه – الذي جاء مؤمنًا – لقريشٍ مرةً أخرى، وكوَّنَ الصحابةُ مجموعة معارِضَةً للصلح، ذهبت لمناقشة رسول الله ﷺ في أمره، يقول الصَّلَّابِيُّ:

"بعد حادثةِ أبي جندلَ المؤلمةِ المؤثرةِ؛ عاد الصحابة إلى تجديد المعارضة للصلح، وذهبت مجموعة منهم إلى رسول الله ﷺ – بينهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه – لمراجعته وإعلان

---

[219] السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل بيروت سنة 1987 جـ4 صـ203

معارضتهم مجددا للصلح، إلا أن النبي ﷺ بما أعطاه الله تعالى من صبرٍ وحكمةٍ وحِلْمٍ وقوةِ حجةٍ؛ استطاع أن يُقنِعَ المُعَارِضِينَ بِوَجَاهَةِ الصُّلْحِ، وأنه في صالحِ المسلمين ونصرٌ لهم"[220].

ثم بمجردِ تأمين جبهة الجزيرة العربية نسبيًّا بعد صلح الحديبية في السنة السادسة بعد الهجرة؛ أرسل النبيُّ ﷺ رسلَهُ بِكُتُبٍ يدعو بها ملوكَ العالمِ وحكَّامَهُ، وكان من بينهم ثلاثةٌ مِنَ الحُكَّامِ المسيحيين هم: هِرَقْلُ الرُّومِ، والمُقَوْقِسُ حاكمُ مصرَ، والنَّجَاشِيُّ مَلِكُ الحبشة، ثم أرسل النبي ﷺ جيوشه لقتال المسيحيين من عربٍ ورُوْمٍ في (مُؤتَةَ) ثم في (تبوك).

وقد سجلت كُتُبُ السيرة النبوية ذَهَابَ المسلمينَ تجارًا إلى الشامِ قبل (الحُدَيْبِيَةِ)، حيث كان الآريوسيون يعيشون تحت نِيْرِ اضطهاد المسيحيين المُثَلِّثَة عَرَبًا وَرُوْمًا، ولم يفرِّقْ مُثَلِّثَةِ هذه البلادِ بينهم وبين الآريوسيينَ في المعاملة، ولم يشفع لهم كونهم تجارًا يحملون سِلَعًا بين المدينة والشام فآذَوْهُمْ كثيرًا.

فقد اعتدى رجال من جُذَامٍ ولَخْمٍ على دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ رضي الله عنه في السنة الخامسة للهجرة في حِسْمَى، فأرسل لهم رسول الله ﷺ سَرِيَّة زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه في حِسْمَى[221].

واعتدت قبيلتا مَذْحِجٍ وقُضَاعَةَ[222] على زيد بن حارثة رضي الله عنه ورجالٍ معه خرجوا للدعوة إلى الله في منطقة وادي القُرَىْ.

أما بعد (الحديبية) فإن الصراع اتخذ شكلًا أكثر دموية:

فقد ضَرَبَ شُرَحْبِيْلُ بنُ عَمْرٍو الغَسَّانِيُّ عنق الحَارِثِ بنِ عُمَيْرٍ الأَزْدِيّ رضي الله عنه رسولِ رسولِ الله ﷺ إلى حاكم بُصْرَىْ بالشام التابعِ لحكمِ الروم[223].

---

220 الصلابي: السيرة النبوية دروس و عبر، طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة ص387

221 حِسْمَى: هي موضع باليمن، قيل: هي بلد قبيلة جُذامٍ.

222 مَذْحِجٌ: ينطق مثل مَسْجِد، وهو اسم قبيلة من اليمن.

223 عبد الرحمن أحمد سالم: المسلمون و الروم في عصر النبوة صـ87 نقلا عن الصلابي صـ457

وأساء الحَارثُ بنُ أَبِيْ شُمَّرَ الغَسَّانِيُّ حاكمُ دمشقَ استقبال رُسُلِ رسول الله ﷺ ، وهدد بإعلان الحرب على المسلمين وغزو المدينة[224].

وقتل المسيحيون العربُ الدعاةَ في منطقةِ (ذَاتُ أَطْلَاحَ)؛ الذين خرجوا للدعوة إلى الإسلام في سَرِيَّةٍ تحتَ إِمْرَةِ عمرِو بنِ كَعْبِ الغِفَارِيِّ رضي الله عنه، الذي تحامل رَغْمَ جُرحه، ووصل جريحًا إلى المدينة ليخبر النبيَّ ﷺ [225].

وقتل مسيحيو الشامِ بتشجيعٍ من الرومِ كلَّ من اعتنق الإسلام من أهل البلاد، وكانت أشهر تلك الحالات حالةَ قتلِ فَرْوَةَ بنِ عَمْرِو الجُذَامِيِّ والي (مَعَانَ) الذي أسلم، وصلبوه على ماءٍ يُقَالُ له (عَفْرَاءُ) بِفِلَسْطِيْنَ[226]، كما قَتَلَ والي الشامِ من أسلمَ مِنْ عربِ الشام[227].

نص رسائل النبيِّ ﷺ إلى الملوك والحكام:

أرسلَ النبيُّ ﷺ رسالةً لِهِرَقْلَ الرومِ مع الصحابيّ الجليلِ دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ رضي الله عنه، محذرًا إيَّاه من استمرار اضطهاد النصارى الموحدين، مسميًا إياهم بـ(الأريسيينَ) كما كانوا يُلَقَّبُونَ في ذلك الوقت، وكما أثبته البحث.

تقول الرسالة:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمدٍ عبدِ الله ورسولِهِ، إلى هِرَقْلَ عظيمِ الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد:

---

[224] المرجع السابق صـ457

[225] تاريخ الطبري 3 . 103

[226] السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل بيروت سنة 1987 جـ4 صـ176

[227] الصراع مع الصليبيين لأبي فارس صـ20 نقلا عن الصلابي صـ457

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتِكَ اللهُ أجركَ مرتينِ، فإن توليتَ فعليكَ إثْمُ الأريسيين، و"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[228].

كما أرسل النبي ﷺ رسالة إلى المُقَوْقِسِ حاكمِ مصرَ من قِبَلِ هِرَقْلَ الرومِ مع الصحابيّ الجليلِ حَاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعَةَ؛ مُحَذِّرًا إياه من استمرار اضطهاد القبط، يقول فيها عليه الصلاة والسلام:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمدٍ عبدِ الله ورسولِهِ إلى المُقَوْقِسِ عظيم القبط، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الله؛ ألَّا نُشرِكَ به شيئًا، ولا يتخذَ بعضُنَا بعضًا أربابًا من دون الله، فإن توليتَ فعليكَ إثم القبط، و"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[229].

كما بعث النبي ﷺ بالرسالة التالية مع عَمْرِو بنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِي رضي الله عنه إلى الأصْحَمِ مَلِكِ الحَبَشَةِ الملقبِ بالنَّجَاشِي، وكان ذلك في شهر المحرم سنة سبعٍ للهجرةِ، وهذا نَصُّهَا:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمدٍ رسولِ اللهِ إلى النَّجَاشِيِّ الأَصْحَمِ مَلِكِ الحَبَشَةِ.

---

[228] سورة آل عمران: 64.
[229] سورة آل عمران: 64.

سلامٌ عليكَ، فإني أَحْمَدُ إليكَ اللهَ الملكَ القُدُّوْسَ المُؤْمِنَ المُهَيْمِنَ، وأشهدُ أنَّ عِيسى روحُ اللهِ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريمَ البتولِ الطاهرةِ الطيبةِ الحصينةِ، فَحملت بعيسى، فخلقَهُ مِنْ رُوْحِهِ وَنَفَخَهُ؛ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ، وإني أدعوكَ إلى الله وحده لا شريك له، والموالاةِ على طاعته، وأن تَتَّبِعَنِيْ فتؤمنَ بِيْ وبالذي جاءني، فإني رسولُ الله، وقد بعثتُ إليكَ ابنَ عَمِّي جَعْفَرًا ومَعَهُ نَفَرٌ مِنَ المسلمين، فإذا جاءوكَ فَأَقِرَّهُمْ ودَعِ التَّجَبُّرَ، فإني أدعوكَ وجنودكَ إلى الله عز وجلَّ، وبلّغتُ ونصحتُ فاقبَلُوا نصيحتي، والسلامُ على من اتبع الهدى".

ويلاحظ عدمُ تحميلِ النبيِّ ﷺ ملكَ الحبشة إثمَ أحدٍ مثلما فعلَ مع هِرَقْلَ والمُقَوْقِسِ، إذ حمّلَهُمَا إثمَ (الأريسيين) وإثم (القبط)، كما لم يسجلِ التاريخُ ذَهَابَ أيِّ جيشٍ مسلمٍ إلى الحبشة؛ التي كان يَنْعُمُ الناسُ فيها بِحُرِّيَّةِ الاعتقاد.

قال بعض العلماء[230] إنَّ قولَ النبيِّ ﷺ في خطاباته للملوك "فعليكَ إثمُ كذا"؛ أيْ أنَّهُ إثْمٌ أمَامَ اللهِ، لأنَّ الناسَ على دِينِ مُلوكهم، وليس هناك دليل قوي على ذلك، بينما يمكنُ أن نعتبرَ هذا المعنى يتعدى إلى الإنذار، وتحميلِهم مسئولية اضطهاد الموحدين، وأنَّ الجرائم التي ارتكبت بحقهم لن يسكت المسلمون عليها.

وذهب العَلَّامَةُ أبو الحسنِ النَّدَوِيُّ رحمه الله إلى أن المراد بـ(الأريسيينَ) هم أتباع (آريوسَ) المصريِّ، وهو مؤسسُ فِرْقَةٍ مسيحية كان لها دور كبير في تاريخ العقائد المسيحية والإصلاح الديني، وقد شَغَلَتِ الدولةَ البِيْزَنْطِيَّةَ والكنيسةَ المسيحيةَ زمنًا طويلًا، و(آريوسُ) هو الذي نادى بالتوحيد، والتمييز بين الخالق والمخلوق، والأب والابن – على حد تعبير المسيحيين – لعدة قرون[231].

[230] مثل الدكتور يوسف القرضاوي في مقالة الفتوحات الإسلامية . حقائق و شبهات المنشورة على موقعه الرسميwww.qaradawi.net

[231] السيرة النبوية للندوي، الدوحة 1980 صـ308

ويؤيدُ الدكتورُ مَعْرُوْفُ الدَّوَالِيْبِيُّ ما قاله النَّدَوِيُّ في (الأريسيين)، أنَّ النبيَّ ﷺ إنما عَنَى بقوله: "فإن توليتَ فعليكَ إثمُ (الأريسيينَ)"، أنهم أتباع آريوسَ، و[هي] الفرقةُ المسيحيةُ الوحيدةُ القائلةُ ببشرية المسيح، النافيةُ لألوهيته[232].

وقد تحدث الإمامُ أبو جعفرٍ الطَّحَاوِيُّ رحمه الله عن هذه الفِرْقَةِ فقال: وقد ذكر بعض أهل المعرفة بهذه المعاني أن في رهطِ هِرَقْلَ فرقةٌ تعرف بـ(الأروسية) تُوَحِّدُ الله، وتعترف بعبودية المسيح له عز وجل، ولا تقول شيئًا مما يقول النصارى في ربوبيته، وتؤمن بنبوته، فإنها تُمْسِكُ بدين المسيحِ مؤمنةً بما في إنجيله، جاحدة لما يقوله النصارى سوى ذلك، وإذا كان ذلك كذلك جاز أن يقال لهذه الفرقة (الأريسيُّونَ) في الرفعِ، و(الأريسيِّينَ) في النصبِ والجرِّ، كما ذهب إليه أصحاب الحديث)[233].

أصل تسمية (الآريوسيين):

لم يختر الموحدون المسلمون من أتباع عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لأنفسهم اسم الآريوسيين، ولكن كان أوَّلُ من أطلقه عليهم هو عدوهم اللدود، وأكبر المدافعين عن عقيدة نِيْقِيَّةَ التي تدعو للثالوث المقدس؛ أثَنَاسْيُوس رئيس كنيسة الإسكندرية؛ بغية إضفاء صفة المبتدعة عليهم بجعلهم أتباع آريوس لا أتباع السيد المسيح، ليوحي للعوام أن المسيحيين هم أتباع المسيح الحقيقيون، بينما الآريوسيون هم أتباع آريوس وليس المسيح، ليصير العالم المسيحي منقسمًا إلى مسيحيين وآريوسيين، وأطلقت كتب الكنيسة على مر التاريخ لفظ "بدعةِ آريوسَ" على عقيدة التوحيد تنفيرا للناس منها، بينما رأي الموحدون أنفسهم أتباعًا للمسيح لا لآريوس، وعن هذا الموضوع يقول موريس وايلز:

---

232 رسالة نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية للدواليبي، ص68- 83

233 أنظر مشكل الآثار للإمام أبو جعفر الطحاوي

"كلمة آريوسي مثل كلمة مسيحي، لم تكن أبدًا وصفًا من اختيار من وُصفوا بها، بل كانت وصفًا من قِبَلِ الخصوم المعادين، وعلى عكس وصف مسيحي؛ لم يتقبل الموصوفون بالآريوسيين أبدًا هذا الوصف، بل كان المسيح في قلب عقيدة وتدين شعب الكنيسة في العصور الأولى، ولكن عندما وصفَ أَثَنَاسْيُوسُ الآريوسيين قائلًا إنَّ "آريوس حَلَّ عندهم محل المسيح"[234]؛ شوه خطابه الحقيقة تشويها أبعدَ ما يكونُ عن معاييرِ المشكلةِ الجدليةِ التي قامت في القرن الرابع، لم يكن آريوسُ أبدًا محورًا لاهتمام من وُصفوا باسمه"[235].

وقد انتشر مسمى (الآريوسيين) على مرحلتين:

- **المرحلةِ الأولى:** وكانت محليَّةً وليست عالمية، وذلك بعد هجوم أَثَنَاسْيُوسَ عليهم وإطلاقِه هذا المسمى على أتباعِ آريوسَ من قساوسةِ وشعبِ كنيسة الإسكندرية، والذين حاولوا بدورهم إقصاءه من الكنيسة، وأُطلق في هذا الوقت على مؤيديهم في العالم (دائرةُ يُوْسُبْيَاسَ) نسبةً لرئيسِ كَنِيْسَةِ القُسَطَنْطِينَيَّةِ يُوْسُبْيَاسَ.

- **المرحلةِ الثانية:** والتي انتقل فيها المسمى من المحلية – بالإسكندرية – إلى العالمية، فأُطلقَ لفظ الآريوسيين على النصارى الموحدينَ بصفةٍ عامةٍ عندما قويت شوكتهم ونجحوا في نفيِ أَثَنَاسْيُوسَ وإقصائه عن الكنيسة، ويُفَصِّلُ موريس وايلز ذلك قائلًا:

"تطورَ استخدامُ وصفِ "الآريوسيين" ليغطي كل من حملوا تلك الرؤيةَ العَقَدِيَّةَ بصفة عامة على مرحلتين، كانت المرحلة الأولى عندما استخدم أَثَنَاسْيُوسُ هذا الوصف ليشير للمحرومين من الكنيسة مع آريوس في الإسكندرية، والذين قاموا بدورهم بمحاولة إقصاء أَثَنَاسْيُوسَ وأتباعِهِ من الكنيسة، فكان الوصف في هذا الوقت له مغزى محليّ عندما كان الهدف الأصلي هو تعيين هؤلاء المناصرين لآريوس نفسه، بينما سُمِّيَ مناصروهم في الخارج بـ(دائرة يوسبياس) كشركائهم

---

[234] خطاب أثناسيوس "في مواجهة الأريوسيين" Athnasius، *Contra Arions*

[235] الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز . أوكسفورد 1996 صـ6

الذين لُطِّخُوا بنفسِ الهرطقة، وعندما اشتد النزاع وعانى أَثَنَاسْيُوسُ من رد الفعل بنفيه؛ لم يكن مد الوصف إلى كل معارضيه محتاجًا لخُطوة كبيرة"[236].

وكان إطلاق وصفِ الآريوسيين في صالح معسكر التثليث بقيادة أَثَنَاسْيُوسَ، بسبب حرمان آريوسَ كَنَسِيًّا، فصار الوصفُ يَحمِلُ تجريمًا للموصوفين به، بينما لم يكن الموصوفون بالآريوسية في الحقيقة تلاميذَ لآريوسَ، يقول وايلز:

"قليلون منهم كانوا قريبين من آريوس أو حتى تأثروا بتعاليمه، ولكن باءت كل محاولاتهم لاحتواء الأضرار الناجمة عن هذا الوصفِ غيرِ المبررِ بالفشل، حتى أنه عند تجريد بعض الأساقفة من رتبتهم الكنسية في مَجْمَعِ أَنْطَاكِيَّةَ عام 341م؛ كتبوا للبابا يوليوس (Pope Julius) قائلين: "كيف يمكن أن نكون أتباعًا لآريوسَ وهو قَسٌّ بينما نحن أساقفة!"، ولكن كل محاولات الاحتجاج على الوصف بالآريوسيين باءت بالفشل، وكان أَثَنَاسْيُوسُ هو المنتصرَ في معركة الاسم"[237].

ولطالما حاول المُوحدونَ المَوصوفونَ بالآريوسيينَ؛ التَّنَصُّلَ من الاسم بإنكار صلتهم – أو حتى معرفتهمُ المسبقةِ – بآريوس أو تعاليمه، مع تمسكهم بالدفاع عن عقيدته كونَهَا – في نظرهم – تمثل العقيدةَ الصافيةَ التي جاء بها السيد المسيح، وعلَّمَهَا تلاميذَهُ مؤسسيْ الكنيسةِ الأولى، وأبرزُ مثالٍ على ذلك: رفضُ أُوكْسِنْتِيُوسَ (Auxentius) أَسْقُفِ ميلانو للوصف الذي وُصِفَ به كآريوسيٍّ من قبل هيلاري[238]، وإنكارُه أيَّ صلةٍ أو معرفةٍ بآريوسَ قائلًا: إنه حينَ بدأ مشواره ككاهنٍ في كنيسةِ الإسكندرية تحتَ قيادةِ الأَسْقُفِ جورجَ (الآريوسيّ)؛ لم يكن يعرف آريوسَ، وقال:

---

[236] الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية، موريس وايلز . أوكسفورد 1996 صـ7

[237] نفس المرجع السابق صـ7

[238] تذكر الموسوعة الكاثوليكية طبعة 1910 م بالمجلد السابع أن هيلاري أسقف مدينة بواتيه غرب فرنسا و أحد أهم خصوم الآريوسيين حتى لقب بأثناسيوس الغرب، ولد عام 300 و توفي عام 368

"لم أعرف آريوس – أو حتى رأته عيناي – بل لا أعرف تعاليمه[239]".

سبب استعمال النبي ﷺ اسم (الأريسيين) عند خطابه لهِرَقْلَ، بينما سماهم (أصحاب عيسى بن مريم) عندما حدَّث الصحابةَ عنهم:

أطلق الرومان مسمى (الأريسيين) ARIANS على كل من يَتْبَعُ عقيدة التوحيد وإن لم يكن من أتباع القَّسِّ آريوسَ أَسْقُفِ الإسكندرية، لأنه كان أشهر وأول من وقف في وجه عقيدة التثليث بشكل حازم، لدرجةٍ اضْطَرَّتِ الرومانَ والمُثَلِّثَةَ لعقد مَجمعِ نِيْقِيَّةَ عام 325 للميلاد.

وقد كان معروفًا وجود مجموعات كثيرة من الموحدين، مثلَ قبائلِ البَرْبَرِ في شمال إفريقية المعروفة بالوندال، وأتباع مِيلِيتْيُوسَ (Melitius) في صَعِيْدِ مصرَ، والقبائلِ الجَرْمَانِيَّةِ في شرق وغرب أُوروبا بقيادة القَّسِّ يُولْفِيلَسَ (Ulfilas)، والذين اتُّهِمُوا بالهرطقة وأُطلق عليهم جميعًا اسمُ الآريوسيين.

لكنَّ رسولَ الله ﷺ في حديثه لصحابته سماهم (أصحابَ عيسى بنِ مريمَ) عليه الصلاة والسلامُ تارةً، و(بقايا مِنْ أهلِ الكتاب) تارةً أخرى.

رَوَىْ إسْحَاقُ وأحمَدُ بنُ مَنِيْعٍ، عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "ألا إن رحى الإسلام دائرةٌ، فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا وإن السلطان والكتاب سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء؛ إن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم! قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال: كما صنع أصحاب عيسى بنِ مريمَ؛ حُمِلُوا على الخُشُبِ، ونُشِرُوا بالمناشير! موت في طاعة الله خيرٌ من حياة في معصية الله!![240].

---

[239] الأسقف هانسون، البحث عن عقيدة الألوهية في المسيحية، أدنبره 1988 صـ123

[240] المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر تحقيق الأعظمي ، 4: 267-268

ونلاحظ أنَّ النبي ﷺ خاطب هِرَقْلَ الروم بما يفهم، فحَمَّلَهُ إثم الأريسيينَ الموجودينَ بكلِّ أنحاء الإمبراطورية، بينما في خطابه للمُقَوْقِسِ حاكمِ مصر حَمَّلَهُ إثمَ المِصْرِيِّيْنَ فقط من بينهم؛ فقال: "فعليك إثم القبط".

حث القرآن على نصرة المظلومين:

حثَّ القرآنُ الكريمُ على نصرةِ المظلومينَ والمضطهدينَ في مواضع عديدة منه، بل يجعل القتال لنصرتهم واجبًا على المسلمين، كما نرى في آيات سورة النساء التي تلوم المسلمين إن لم يقتالوا لنصرة المستضعفين، يقول تعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: 75).

وسمى القرآن الكريم الاضطهاد الديني بالفتنة، وأجاز القتال لدرء الفتنة حتى في الأشهر الحرم، يقول تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة 217).

يقول سيد قطب عند هذه الآية:

"نزلت تقرر حرمة الشهر الحرام، وتقرر أن القتال فيه كبيرة نعم؛ ولكن.. "وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل"، إن المسلمين لم يبدأوا القتال ولم يبدأوا العدوان، إنما المشركون هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله والكفر به وبالمسجد الحرام!! لقد صنعوا كلَّ كبيرة لصد الناس عن سبيل الله، ولقد كفروا بالله وجعلوا

الناس يكفرون، ولقد كفروا بالمسجد الحرام وانتهكوا حرمته فآذوا المسلمين فيه، وفتنوهم عن دينهم طَوَالَ ثلاثةَ عَشَرَ عامًا قبل الهجرة، وأخرجوا أهله منه وهو الحرمُ الذي جعله الله آمنًا، فلم يأخذوا بحرمتِهِ ولم يحترموا قدسِيَّتَهُ، وإخراجُ أهلِه منه أكبرُ عند الله من القتالِ في الشهر الحرام، وفتنةُ الناسِ عن دينهم أكبر عند الله من القتل، وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام، وَوَضَحَ موقفُ المسلمين في دفع هؤلاء المعتدين على الحرمات، الذي يتخذون منها ستارًا حين يريدون، وينتهكون قداستها حين يريدون، وكان على المسلمين أن يقاتلوهم أنّىْ وجدوهم لأنهم عادون باغون أشرارٌ، لا يَرْقُبُوْنَ حُرْمَةً، ولا يتحرجون أمام قداسة، وكان على المسلمين ألا يدعوهم يحتمون بستارٍ زائفٍ من الحُرُمَاتِ التي لا احترام لها في نفوسهم ولا قداسة، لقد كانت كلمةَ حقٍّ يُراد بها باطلٌ، وكان التلويحُ بحرمةِ الشهر الحرام مجردَ ستارٍ يحتمون خلفه لتشويه موقف الجماعة المسلمة، وإظهارها بمظهر المعتدي وهم المعتدون ابتداء، وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء"

لقد كان ذلك إشارةِ لأهمية الجهاد من أجل درءِ الفتنة والاضطهاد، ولو كان ذلك في الشهر الحرام الذي لا يَصِحُّ فيه القتال، لأن حماية حرية العقيدة تأتي في مقدمة أولويات المُسلمِ دائمًا.

وبيَّنَ القرآنُ الكريمُ أن الجهاد مطلوبٌ لحمايةِ حريةِ إقامةِ الشعائرِ وتأمينِ العُبَّادِ في صوامعهم ومعابدهم وكنائسهم، يقول تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: 40).

"قال الضحاك: الجميعُ يذكرُ فيها اسمَ الله كثيرًا، وقال ابنُ جَرِيْرٍ: الصوابُ لهدِّمَتْ صوامعُ الرهبانِ وبِيَعُ النصارى وصلواتُ اليهودِ – وهي كنائسهم، ومساجدُ المسلمين التي يُذكر فيها اسمُ الله كثيرًا، لأن هذا هو المستعملُ المعروفُ في كلام العرب"[241].

أي أنَّ المسلمَ مطالبٌ بحفظ الأمنِ وضمانِ حرية العقيدة للجميع حتى يختار كُلُّ فردٍ ما يراه حقًا.

كما حثت السنة النبوية على تعاون المسلمين ونجدة ضعيفهم، فيقول المعصوم ﷺ: "المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضًا، ثم شَبَّكَ بين أصابعه"[242].

ويقول ﷺ: "المسلمُ أخو المسلمِ؛ لا يَظْلِمُهُ ولا يُسلمه، ومن كان في حاجةِ أخيه كان الله في حاجته، ومن فَرَّجَ عن مسلمٍ كُربَةً؛ فَرَّجَ الله عنه كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يومِ القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة"[243].

ويقول أيضًا ﷺ: "مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهِم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهر والحمى"[244].

وتأسيسًا على ما سبق أن أثبتناه من أن وصف المسلم ينطبق على النصارى الموحدين، ومنهم الآريوسيينَ الذين تعرضوا للفتنة والاضطهاد والقتل ومصادرة كنائسهم وعزلهم من وظائفهم؛ من قِبَلِ المؤمنين بالثالوث من الرومان وغيرهم على وجهٍ سواء، وطالما أنهم كانوا موجودين في البلاد المجاورة للجزيرة العربية، وفي ظل حَثِّ القرآنِ الكريمِ والسنة النبوية للمسلمينَ على نجدة

241 تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة بيت الأفكار الدولية الرياض، سنة 1999 صـ1165

242 صحيح البخاري، دار الشعب سنة 1958 ج 8 صـ14

243 صحيح البخاري، دار الشعب سنة 1958 ج 3 صـ168

244 صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة سنة 1996 ج 6 صـ 140

إخوانهم، فإن من الطبيعي أن يخرج المسلمون من أصحاب محمدٍ لنجدة إخوانهم من المسلمين من أصحاب عيسى بن مريمَ؛ عليهما أفضل صلواتِ الله وسلامُه.

نتائج البحث

1- انطباقُ وصف المسلمين على فرق النصارى الموحدين ومنهم الآريوسيون.

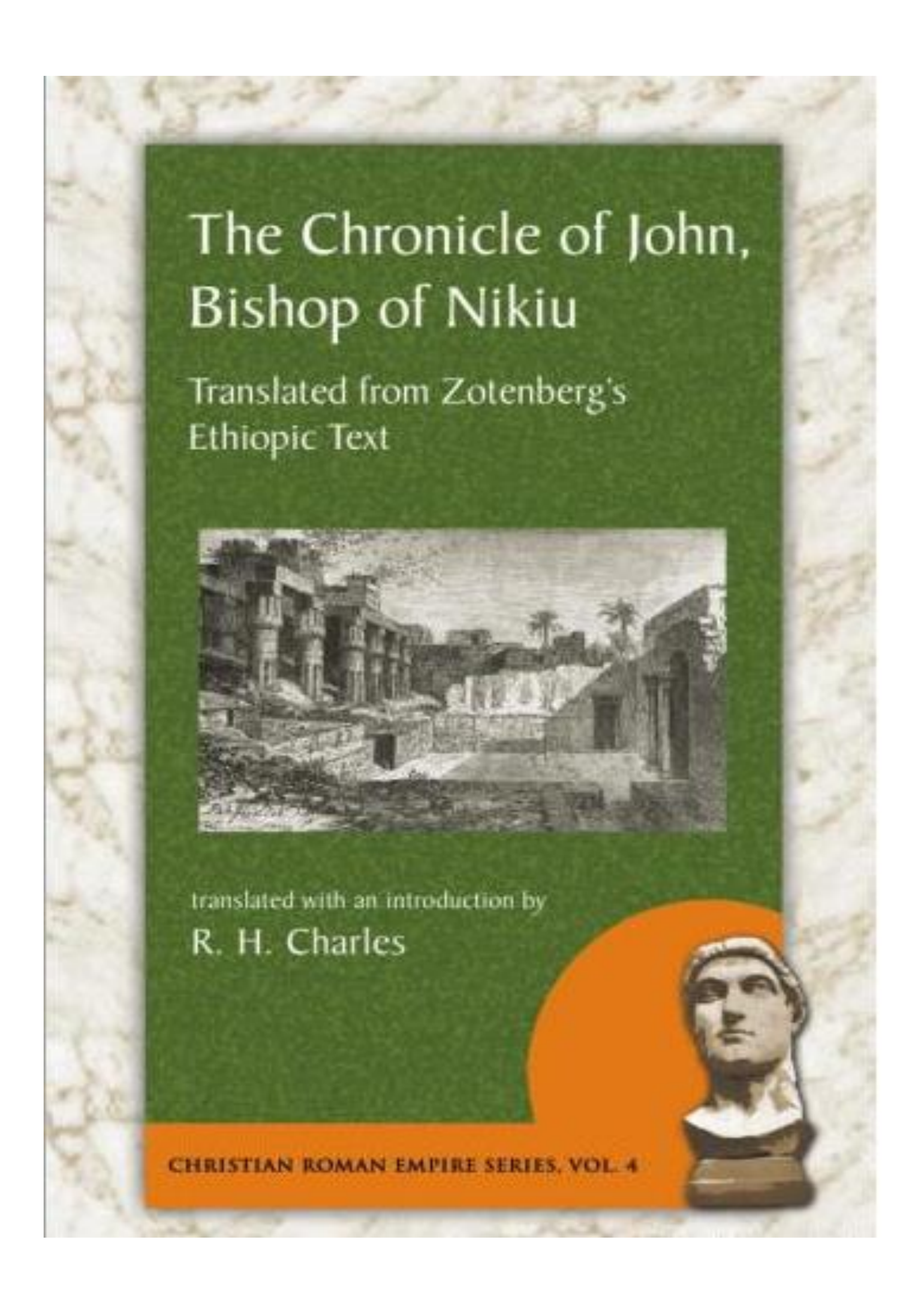
2- إثباتُ استمرار وقوع الآريوسيين تحت الاضطهاد الشديد حتي وقت الفتح الإسلامي؛ في مناطق مختلفة من الدولة الرومانية ومنها مصر.

3- إثباتُ اهتمام النبي ﷺ والمسلمينَ من بعده بأمر الآريوسيين.

4- إثبات أن أحد دوافع المسلمين لفتح الأقاليم التي بها آريوسيون؛ ومنها مصر: هو الدفاع عن النفس، إذ هب المسلمون من أصحاب محمد بن عبد الله لنجدة إخوانهم من المسلمين من أصحاب عيسى بن مريم عليهما أفضل صلوات الله وسلامه.

ملحق رقم 1

صورة غلاف كتاب تاريخ مصر ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ الترجمة الإنجليزية طبعة 2007 ترجمة R.H. Charles من نسخة زوتنبرج الحبشية.



ملحق رقم 2

صورة من صفحة 186 التي تبين وجود الأريسيين وانضمامهم للفاتحين العرب واضطهادهم للأورثوذوكس.

CXVIII. 3 BISHOP OF NIKIU 187

siderable.[1] 3. And thereupon he ordered them to evacuate the citadel. And they took a small quantity of gold and set out. And it was in this way that the citadel of Babylon in Egypt was taken on the second day after the (festival of the) Resurrection. 4. Thus God punished them because they had not honoured the redemptive passion of our Lord and Saviour Jesus Christ, who gave His life for those who believe in Him. Yea, it was for this reason that God made them turn their back upon them (i. e. the Moslem). 5. Now on that day of the festival of the holy Resurrection they released the orthodox that were in prison; but, enemies of Christ as they were, they did not let them go without first ill-using them; but they scourged them and cut off their hands. 6. And on that day these (unhappy ones) wept and their tears poured down their faces and they were spurned, even as it is written regarding those unclean persons: 'They have defiled the Church by an unclean faith, and they have wrought apostasies and deeds of violence like the sect of the Arians, such as neither pagan nor barbarian has wrought, and they have despised Christ and His servants, and we have not found any that do the like amongst the worshippers of false idols. 7. But God has been patient with the apostates and heretics who have undergone baptism a second time in submission to despotic emperors. Yet it is the same God who recompenses every man according to his deeds and does justice to him that has

ملحق رقم 3

صورة من صفحة (202) التي يعزو فيها ضياع مصر ووقوعها في أيدي العرب بسبب ضلال الخلقدونيين (الذين يعتقدون بأن المسيح له طبيعتان) والأريسيين (الذين يؤمنون أنه مخلوق).

202 THE CHRONICLE OF JOHN CXXIII. 2

Now it contains divine mysteries and heavenly marvels which have befallen apostates from the faith. 2. At one time the earth quaked on account of the denial (of the faith), and the great city of Nicaea was destroyed. At another it rained fire from heaven: at another the sun was darkened from the hour of dawn till evening. 3. On a certain occasion the rivers rose and overwhelmed many cities; while on another houses were overthrown and many men perished and went down to the depths of the earth. 4. And all these things fell out because they divided Christ into two natures, whilst some of them made Him (merely) a created being. 5. Also the Roman emperors lost the imperial crown, and the Ishmaelites and Chuzaeans won the mastery over them, because they did not walk in the orthodox faith of our Lord Jesus Christ, but divided the indivisible.

6. The transcription of this book began on the twenty-eighth day of Hamlê, and was finished on Monday on the twenty-second day of Teqmet,[1] at the sixth hour of the day, when the sun was in the sign of Scorpion, and the moon in the sign of Aquarius. 7. And the course of the sun was then in (its) 195th degree, and its zenith was at eighty-seven degrees thirty minutes. And the day was eleven hours, and the night thirteen. And the day increased and

ملحق رقم 4

فتوى د. بول داف لتوضيح موضوع إضافة كلمة "الابن المولود لله" على الإنجيل من قبل القديس جيروم للقضاء على بدعة آريوس القائلة بأن الابن مخلوق.



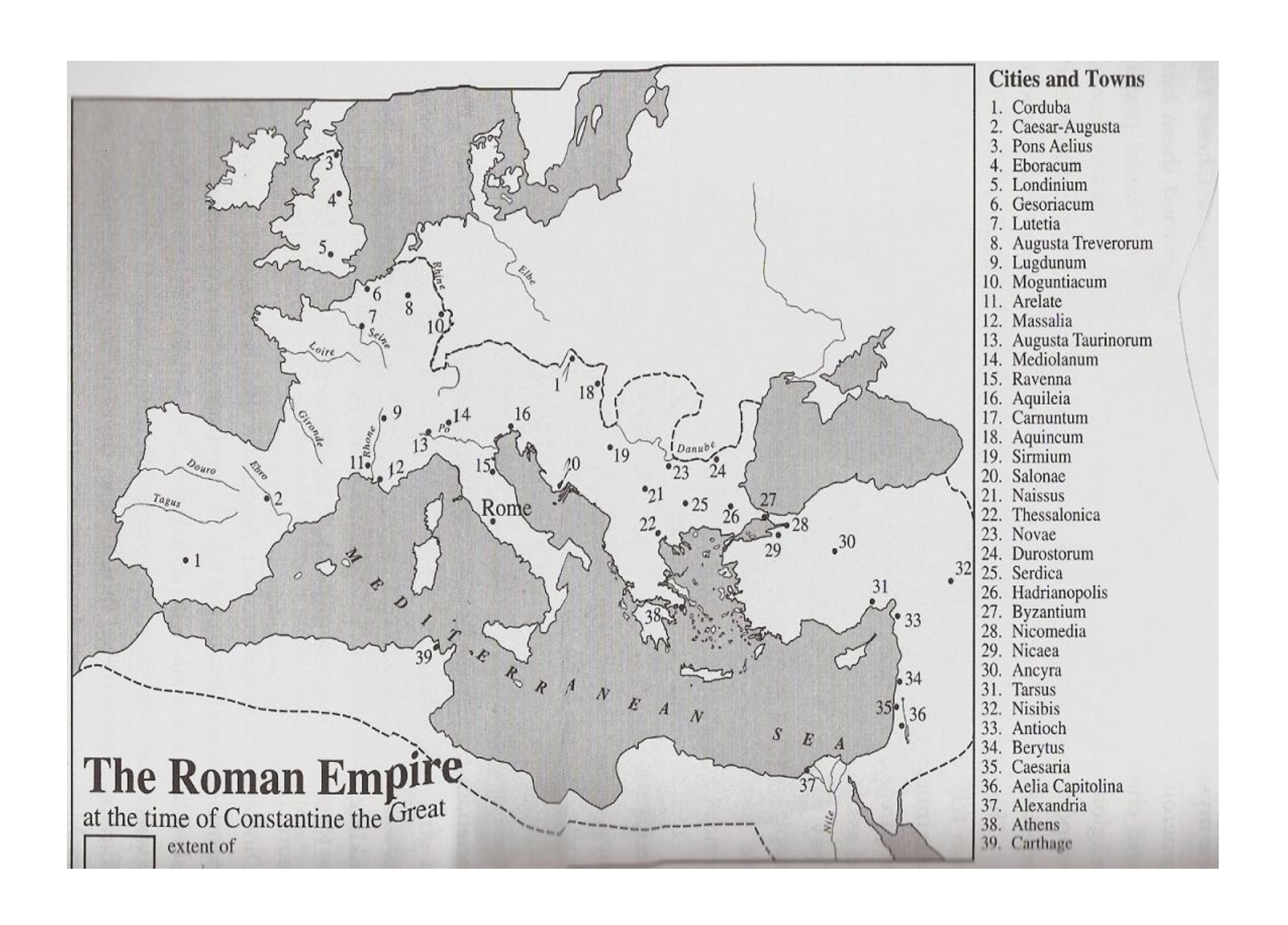
RELIGION DEPARTMENT

22 April 1992

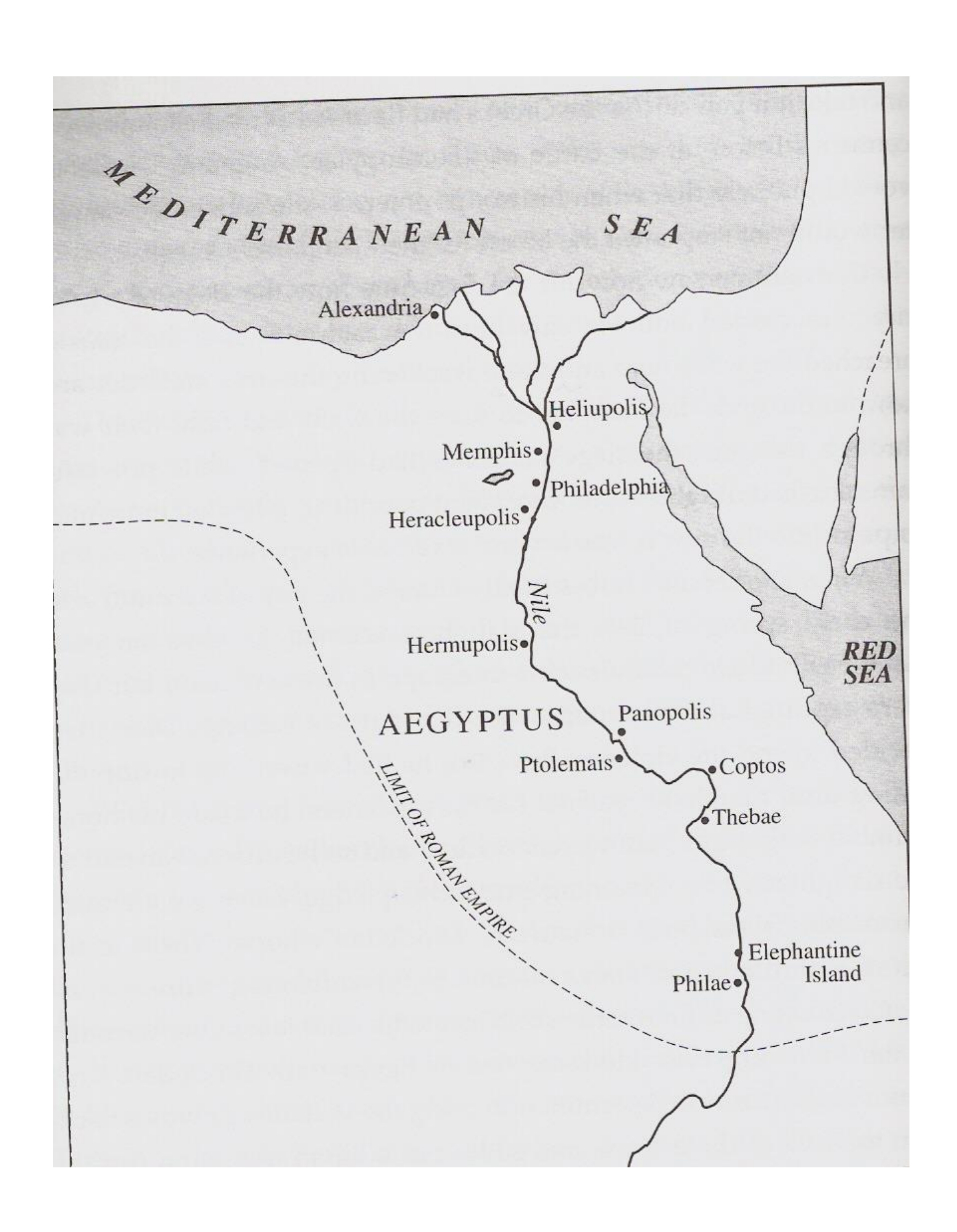
FROM: Paul B. Duff
Assistant Professor of Religion
(Hebrew Scriptures, New Testament)

John 3:16 and John 1:18 each have the word *monogenēs* in Greek. This word ordinarily means "of a single kind". As a result, "unique" is a good translation. The reason you sometimes find a translation that renders the word as "only begotten" has to do with an ancient heresy within the church. In response to the Arian claim that Jesus was made but not begotten, Jerome (4th century) translated the Greek term *monogenēs* into Latin as *unigenitus* ("only begotten").

خريطة المدن الرئيسية في الدولة الرومانية في عهد قنسطنطين لعظيم



خريطة المدن الرئيسية بمصر في عهد قنسطنطين العظيم



خريطة المدن الرئيسية بآسيا الصغرى في عهد قسطنطين العظيم



اليونان والبلقان في عهد قنسطنطين لعظيم



Greece and the Balkans
at the time of Constantine the Great

Letter of Arius to Eusebius of Nicomedia

Reference numbers	Early Arian Document (*Urkunde*) 1 AW III^2 no. 15 CPG 2025
Incipit:	Τοῦ πατρός μου Ἀμμωνίου
Date:	c. 318
Source:	Theodoret ، *Church History* 1.5 (TLG) Also found in: Epiphanius ، *Refutation of All Heresies* 69.6
Notes	To compare this document with other lists of sympathizers with Arius ، see the Arian map. In paragraph 3 ، Arius claims that nearly "all those of the East" agree that the Father pre-exists the Son!

(1.) To that most beloved man of God ، the faithful and orthodox Eusebius ، from Arius ، unjustly persecuted by father Alexander because of the all-conquering truth which you ، Eusebius ، also are defending!

(2.) Since my father Ammonius is going to Nicomedia ، it seemed reasonable and proper to greet you through him ، remembering at the same time the innate love and affection which you have for the brothers on account of God and his Christ ، because the bishop [Alexander] is severely ravaging and persecuting us and moving against us with every evil. Thus he drives us out of every city like godless men ، since we will not agree with his public statements: that there was "always a God ، always a Son;" "as soon as the Father ، so soon the Son [existed];" "with the Father co-exists the Son unbegotten ، ever-begotten ، begotten without begetting;" "God neither precedes the Son in aspect or in a moment of time;" "always a God ، always a Son ، the Son being from God himself."

(3.) Since Eusebius ،your brother in Caesarea ،and Theodotus ،and Paulinus ،and Athanasius ،and Gregory ،and Aetius and all those in the East say that God pre-exists the Son without a beginning ،they have been condemned ،except for Philogonius and Hellenicus and Macarius ،unlearned heretics some of whom say that the Son was “spewed out” ،others that he was an “emanation” ،still others that he was “jointly unbegotten.” **(4.)** We are not able to listen to these kinds of impieties ،even if the heretics threaten us with ten thousand deaths. But what do we say and think and what have we previously taught and do we presently teach? -- that the Son is not unbegotten ،nor a part of an unbegotten entity in any way ،nor from anything in existence ،but that he is subsisting in will and intention before time and before the ages ،full <of grace and truth،> God ،the only-begotten ،unchangeable. **(5.)** Before he was begotten ،or created ،or defined ،or established ،he did not exist. For he was not unbegotten. But we are persecuted because we have said the Son has a beginning but God has no beginning. We are persecuted because of that and for saying he came from non-being. But we said this since he is not a portion of God nor of anything in existence. That is why we are persecuted; you know the rest.

I pray that you fare well in the Lord ،remembering our tribulations ،fellow-Lucianist ،truly-called Eusebius [i.e. the pious one].

Translation by GLT

Other translations in New Eusebius ،no. 283; NPNF[2] vol. 3 ،p. 41; ¶ 2.6-8 in Hanson ،p. 139; ¶ 4-5 in Hanson ،p. 6

نص رسالة من آريوس إلى الأَسْقُفّ يوسوبياس أَسْقُفّ نيكوميديا يخبره بأمر اضطهاد الأَسْقُفّ إسكندر له و لزملائه بسبب معارضتهم له في أمر تأليه السيد المسيح.

Fragment of a letter of Eusebius of Nicomedia to Arius

Reference numbers	Early Arian Document (*Urkunde*) 2 (=AW III^2 no. 16; CPG 2046)
Incipit	Καλῶς φρονῶν εὔχου πάντας
Date	c. 318
Ancient source	Athanasius ،*On the Synods* 17 (TLG)

And Eusebius of Nicomedia in addition wrote thus to Arius:

Since you think properly ،pray that everyone will think that way. For it is clear to all that the thing which is made did not exist before it came into being; but rather what came into being has a beginning to its existence.

Translation by GLT

p. 459 ،p. 31; NPNF^2 vol. 4 ،Other translations in Hanson

جزء من رسالة أرسل بها يوسوبياس أَسْقُفّ نيكوميديا لآريوس مؤيدًا إياه وداعيا الله أن يتبع الناس جميعا معتقداته.

Emperor Constantine to Alexander of Alexandria and Arius

Reference numbers	Early Arian Document (*Urkunde*) 17 (=AW III[2] no. 19; CPG 2020)
Incipit	Διπλῆν μοι γεγενῆσθαι
Date	October 324
Ancient source used	Eusebius ،*Life of Constantine* 2.64-72 (TLG)
Other ancient source (paragraphs 6-15)	Socrates ،*Church History* 1.7; Gelasius ،*Church History* 2.4

The Victor Constantine ،the Great Augustus ،to Alexander and Arius.

(1.) I call God to witness ،as is fitting ،who is the helper of my endeavors and the preserver of all men ،that I had a twofold reason for undertaking this duty which I have now performed. My design then was first to bring the various beliefs formed by all nations about God to a condition of settled uniformity. Secondly I hoped to restore to health the civil liberties of the empire ،then suffering under the malignant power of a angry tyrant. Keeping these objects in view ،I sought to accomplish the one by thought ،which is hidden from the eye ،while the other I tried to rectify by the power of military authority. For I was aware that ،if I should succeed in establishing ،according to my hopes ،a common harmony of sentiment among all

the servants of God ،the general course of affairs would also experience a change corresponding to the pious desires of all.

(2.) So when I found that an intolerable spirit of mad folly had overcome the whole of Africa ،through the influence of those who with heedless frivolity had presumed to divide the religion of the people into diverse sects ،I was anxious to stop the course of this disorder. After I had removed the common enemy of mankind [Licinius] who had interposed his lawless sentence which prohibited your holy synods ،I could discover no other remedy equal to the occasion ،except to send some of you churchmen to aid in restoring mutual harmony among the disputants.

(3.) I naturally believed that you in the East would be the first to promote the salvation of other nations ،since the power of Divine light and the law of sacred worship ،which proceeded in the first instance through the favor of God ،from the bosom ،as it were ،of the East ،have illumined the world by their sacred radiance. So I resolved with all energy of thought and diligence of enquiry to seek your aid. As soon ،as I had secured my decisive victory and unquestioned triumph over my enemies ،my first enquiry was concerning that object which I felt to be of paramount interest and importance.

(4.) But ،O glorious Providence of God! How deep a wound did not my ears only ، but my very heart receive when it was reported that divisions existed among yourselves more grievous still than those which continued in that country [Africa ، i.e. the Donatist schism]! You ،through whose aid I had hoped to procure a remedy for the errors of others ،are in a state which needs healing even more than theirs. And yet ،now that I have made a careful enquiry into the origin and foundation of these differences ،I have found the cause to be of a truly insignificant character ،and quite unworthy of such fierce contention. I feel compelled to address you in this letter ،and to appeal at the same time to your unity and discernment. I call on Divine Providence to assist me in the task ،while I interrupt your dissension as a minister of peace. (5.) I have hope for success: Even in a great disagreement I might expect with the help of the higher Power ،to be able without difficulty ،by a judicious appeal to

the pious feelings of those who hear me ،to recall them to a better spirit. How can I help but to expect a far easier and more speedy resolution of this difference ،when the cause which hinders general harmony of sentiment is intrinsically trifling and of little importance?

(6.) I understand that the origin of the present controversy is this. When you ، Alexander ،demanded of the priests what opinion they each maintained respecting a certain passage in Scripture ،or rather ،I should say ،that you asked them something connected with an unprofitable question. You then ،Arius ،inconsiderately insisted on what ought never to have been speculated about at all ،or if pondered ،should have been buried in profound silence. Hence it was that a dissension arose between you ،fellowship was withdrawn ،and the holy people were rent into diverse factions ، no longer preserving the unity of the one body. (7.) And so I now ask you both to show an equal degree of consideration for the other ،and to receive the advice which your fellow-servant impartially gives. What then is this advice? It was wrong in the first instance to propose such questions as these ،and also wrong to reply to them when they were presented. (8.) For those points of discussion are not commanded by the authority of any law ،but are rather the product of an argumentative spirit which is encouraged by the idle useless talk of leisure. Even though they may be intended merely as an intellectual exercise ،they ought certainly to be confined to the region of our own thoughts ،and not hastily produced in the popular assemblies ، nor unadvisedly entrusted to the ears of the general public. For how very few are there able either accurately to comprehend ،or adequately to explain subjects so sublime and difficult to comprehend in their nature? Or ،granting that one were fully competent for this ،how many people will he convince? Or again ،who in dealing with questions involving such subtle distinctions as these can be sure he is not dangerously departing from the truth in some point? We ourselves may be unable ، through the weakness of our natural abilities ،to give a clear explanation of the subject before us ،or ،on the other hand ،our hearers' understanding may prevent them from arriving at an accurate understanding of what we say. Lest that be the

case ،it is our obligation to be sparing with our words ،so that neither of these situations will cause the people to be reduced either to blasphemy or to schism.

(9.) Now forgive one another for both the careless question and the ill-considered answer. The cause of your difference has not been any of the leading doctrines or precepts of the Divine law ،nor has any new heresy respecting the worship of God arisen among you. You are really of one and the same judgment; and so it is fitting for you to join in communion and fellowship. (10.) As long as you continue to contend about these small and very insignificant questions ،it is not fitting that so large a portion of God’s people should be under the direction of your judgment ، since you are thus divided between yourselves. In my opinion ،it is not merely unbecoming ،but positively evil ،that such should be the case. Let me arouse your minds by the following little illustration. You know that philosophers ،though they all adhere to one system ،are yet frequently at issue on certain points ،and differ ، perhaps ،in their degree of knowledge. Yet they are brought back to harmony of opinion by the uniting power of their common teachings. If this be true ،is it not far more reasonable that you ،who are the ministers of the Supreme God ،should be of one mind in the profession of the same religion? Let us still more thoughtfully and with closer attention examine what I have said ،and see whether it be right: On the ground of some trifling and foolish verbal difference between ourselves ،should brothers assume towards each other the attitude of enemies? Should the honorable synod be torn in two by profane disunion ،because of you who wrangle together on points so trivial and altogether unessential? This is vulgar ،and more characteristic of childish ignorance ،than consistent with the wisdom of priests and sensible men. (11.) Let us withdraw ourselves with a good will from these temptations of the devil. Our great God and our common Savior has granted us all the same light. Permit me ، who am his servant ،to successfully bring my task to conclusion ،under the direction of his providence ،that I may be enabled ،through my exhortations ،diligence ،and earnest warning ،to recall his people to communion and fellowship. (12.) You have ، as I said ،only one faith ،and one opinion about our religion ،and the Divine commandment in all its parts imposes upon us all the duty of maintaining a spirit of

peace. Because of this ،you should not let the circumstance which has led to a slight difference between you cause any division or schism among you ،since it does not affect the validity of the whole. (13.) I say this without in any way desiring to force you to a complete unity of judgment in regard to this truly idle question ،whatever its real nature may be. For the dignity of your synod can be preserved ،and the communion of your whole body can be maintained unbroken ،no matter how wide a difference exists among you about unimportant matters. We are not all like-minded on every subject ،nor is there such a thing as one universal disposition and judgment.

(14.) As far ،then ،as regards Divine Providence ،let there be one faith ،and one understanding among you ،one united judgment concerning God. But as to your subtle disputations on questions of little or no significance ،though you may be unable to harmonize in opinion ،such differences should be confined to the your own private minds and thoughts. And now ،let the preciousness of common affection ، let faith in the truth ،let the honor due to God and to the observance of his law remain immovably among you. Resume your mutual feelings of friendship ،love ،and respect. Restore to the people their customary embraces; and you yourselves purify your souls ،as it were ،and once more acknowledge one another. For it often happens that when a reconciliation is effected by the removal of the causes of hostility ، friendship becomes even sweeter than it was before.

(15.) Restore me then my quiet days ،and untroubled nights ،that the joy of undimmed light ،the delight of a tranquil life ،may be my portion from here on. Otherwise I will be forced to mourn with constant tears ،and I will not be able to pass the remainder of my days in peace. While the people of God ،whose fellow-servant I am ،are so divided among themselves by an unreasonable and wicked spirit of contention ،how is it possible that I shall be able to maintain a tranquil mind? And I will give you a proof how great my sorrow has been in this regard. Not long ago I visited Nicomedia ،and had intended to proceed immediately from that city to the East. It was while I was hurrying towards you ،and had already finished the greater

part of the journey ، that the news of this matter reversed my plan ، so that I would not be forced to see with my own eyes that which I felt myself scarcely able even to hear. So open for me by your unity of judgment that road to the regions of the East which your dissensions have closed to me ، and permit me speedily to see you and all other peoples rejoicing together. Render due acknowledgment to God in the language of praise and thanksgiving for the restoration of general peace and liberty to all.

خطاب من قُسَطَنْطِينَ لآريوس وإسكندر أَسْقُفّ الإسكندرية يلومهم على المشكلات التي سببها خلافهم حول السيد المسيح.

Emperor Constantine to Arius

Reference numbers	Early Arian Document (*Urkunde*) 29 (=AW III[2] no. 33; CPG 2040)
Incipit	Πάλαι μὲν ἐδηλώθη
Date	27th Nov. 327
Ancient source	Socrates ،*Church History* 1.25.7 (TLG)

Constantine the Great Augustus ،to Arius.

It was made known to you in your stubbornness some time ago ،that you might want to come to our headquarters ،so that perhaps you could enjoy the privilege of seeing us. We are quite amazed that you did not do so immediately. Therefore ،now board a public (official) vehicle ،and hasten to come to our court. This way ،once you have been in our company and obtained favor from us ،you may be able to return to your own country. May God protect you ،beloved.

Dated the twenty-seventh of November.

خطاب دعوة من قُسَطَنْطِينَ لآريوس ليشرح له موقفه.

Part of an edict against Arius and his followers

Reference Numbers	Early Arian Document (*Urkunde*) 33; AW III² no. 28; CPG 2041
Incipit	Τοὺς πονηροὺς καὶ ἀσεβεῖς
Date	333
Ancient source used	Athanasius ، *Defense of the Nicene Definition* 39 (TLG)
Modern edition used	H.G. Opitz ، *Athanasius Werke* ، vol. 2.1 (Berlin: De Gruyter ، 1940)
Other ancient Greek sources	Socrates ، *Church History* 1.9.30 and Gelasius ، *Church History* 2.36.1
Ancient Syriac sources	2 manuscripts: Brit. Mus. Add. 14،528 and Vatican Borg. Syr. 82
Modern edition of Syriac	Fredrich Schulthess ، "Die syrischen Kanones der Synoden von Nicaea bis Chalcedon." *Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen* ، *Philologisch-Historische Klasse* N.F. 10 ، no. 2 (Berlin: Weidmannsche Buchhandlung1908 ،) pp. 1-2

(1.) The great and victorious Constantine Augustus to the bishops and laity:

Since Arius is an imitator of the wicked and the ungodly ،it is only right that he should suffer the same dishonor as they. Porphyry ،who was hostile to anyone who feared God ،composed a book which transgressed against our religion ،and has found a suitable reward: namely that he has been disgraced from that time onward ،his reputation is completely terrible ،and his ungodly writings have been destroyed. In the same way it seems appropriate that Arius and those of like mind with Arius should from now on be called Porphyrians ،so that their name is taken from those whose ways they have imitated. (2.) In addition ،if any writing composed by Arius should be found ،it should be handed over to the flames ،so that not only will the wickedness of his teaching be obliterated ،but but nothing will be left even to remind anyone of him. And I hereby make a public order ،that if someone should be discovered to have hidden a writing composed by Arius ،and not to have immediately brought it forward and destroyed it by fire ،his penalty shall be death. As soon as he is discovered in this offense ،he shall be submitted for capital punishment.

And in another hand:

God will watch over you ،beloved brothers.

جزءِ من حكم صادر من قُسَطَنْطِينَ بحرق مؤلفات آريوس وقتل من يخفيها عنده.

المـراجـع

المراجع العربية

1. صحيح البخاري دار الشعب سنة1958
2. صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة سنة 1996
3. د. عبد الستار فتح الله سعيد: المنهاج القرآني في التشريع، القاهرة 1992
4. لسان العرب لابن منظور، دار الحديث 2003
5. الزبيدي في (تاج العروس) جـ16 صـ344 طبعة دار الفكر بيروت سنة 1994
6. الموسوعة الميسرة للأديان و المذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي للنشر، الرياض سنة 2003
7. جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان،. دار الهلال
8. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة بيت الأفكار الدولية الرياض،سنة 1999
9. كلمات القرآن تفسير وبيان، الشيخ حسنين مخلوف
10. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الريان للتراث 1990
11. تفسير الطبري، دار التوفيقية بالقاهرة سنة 2004
12. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق سنة 2007
13. الدين للدكتور دراز طبعة دار القلم. الكويت
14. حياة محمد، محمد حسين هيكل، دار المعارف 1977

15. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الرياض سنة 2002

16. عقائد النصارى الموحدين، حسني يوسف الأطير، دار الأنصار، القاهرة (عابدين) ،1985

17. الدسقولية تحقيق سليمان قلادة

18. كتاب الجمان في أخبار الزمان، لمحمد الشطيبي المغربي نسخة خطية بدار الكتب المصرية

19. متى المسكين، التقليد و أهميته في الإيمان المسيحي

20. أسد رستم، كنيسة الله مدينة أنطاكية العظمى

21. تاريخ البطاركة: السيرة السادسة

22. تاريخ مختصر الدول – المطبعة الكاثوليكية بيروت 1958

23. حضارة مصر في العصر القبطي، مراد كامل

24. د. حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، القاهرة طبعة مكتبة الثقافة الدينية

25. د. نبيل لوقا بباوي، انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة و الافتراء، دار البباوي للنشر القاهرة

26. كتاب تاريخ الأمة القبطية الحلقة الثانية (خلاصة تاريخ المسيحية في مصر) كامل صالح نخلة و فريد كامل عضوا لحنة التاريخ القبطي، نشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية

27. ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار الحديث بالقاهرة سنة 2003

28. السيرة النبوية لابن هشام، دار الجيل بيروت سنة 1987

29. الصلابي: السيرة النبوية دروس و عبر، طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة

30. عبد الرحمن أحمد سالم: المسلمون و الروم في عصر النبوة نقلا عن الصلابي

31. السيرة النبوية للندوي، الدوحة 1980

32. رسالة نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية للدواليبي

33. مشكل الآثار للإمام أبو جعفر الطحاوي

34. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر تحقيق الأعظمي

35. الصراع مع الصليبيين لأبي فارس نقلا عن الصلابي

36. تاريخ الطبري

37. رحمة الله خليل الهندي: إظهار الحق، اختصار محمد ملكاوي، الرياض 1989

38. كتاب "تاريخ مصر ليوحنا النِّقْيُوْسِيّ – رؤية قبطية للفتح الإسلامي" ترجمه من النسخة الحبشية د. صابر عبد الجليل، الناشر عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية

39. منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية

40. الهرطقة في الغرب، موريس عوض، بيروت 1997

41. يوسوبياس، تاريخ الكنيسة تعريب مرقص داود

المراجع الأجنبية:

1. The Chronicle of John Bishop of Nikiu ،translated from Zotenberg's Ethipoic text by ،printed by Williams and Norgate ،London 1916
2. Dictionary of Christian Biography and Literature to the End of the Sixth Century A.D. ،with an Account of the Principal Sects and Heresies. Author: Wace ،Henry (1836-1924)
3. C.A.Scott ،Encyclopedia of Religions and Ethics:
4. Albrecht Vogel ،"Donatism،" Philip Schaff ،ed. ،*Dictionary of Biblical ،Historical ،Doctrinal ،and Practical Theology*3 ،rd edn ،Vol. 1. Toronto ،New York & London: Funk & Wagnalls Company1894 ،
5. The Oxford Encyclopaedic English Dictionary ،1970 ،London.
6. Encyclopedia Britannica
7. Catholic Encyclopaedia
8. John Davenport ،An Apology for Muhammad and the Quran ، London 1869
9. Hubert Jedin ،The Early Church ،An Abridgement of history of the Church ،New York1993 ،
10. Hyam Macoby ،the Myth Maker ،Paul and the invention of Christianity ،San Fransisco1986 ،
11. Webster ،the third international dictionary ،USA 2002

12. Arthur Fox ،Michael Servitos ،London1913،

13. AtauRahim ،Jesus the Prophet of Islam ،London1977 ،

14. Sulayman Ibrahim ،The origin of the Bible،Capetown2008،

15. Franklin Steiner ،The beliefs of our Presidents ،Milwaukee1936 ،

16. Jacob Burkhardt ،The age of Constantine the Great1852 ،

17. John Toland ،the Nazarenes1718 ،

18. Professor Kurtz ،The History of the church ،Butler & Taner ،London 1932

19. Dimitrios Kousulas ،The Life and age of Constantine the Great ، MD ،USA1997 ،

20. R.P.C. Hanson ،The search for the Christian Doctrine of God ،T&T Clark ،Edinburgh 1988

21. Maurice Wiles ،Archetypal Heresy ،Oxford 1996

22. Fredric Schluthis ،Ecumenical councils from Nicaea to Chalcedon ، Berlin 1908

23. Richard S. Westfall ،The life of Isaac Newton ،Cambridge 1993.

مواقع الإنترنت:

1. www.arian-catholic.org
2. www.historyworld.net
3. www.islamonline.net
4. www.qaradawi.net
5. www.olamaashareah.net
6. http://www.gizapyramid.com/LECTURE-SHROUD1.htm
7. www.islam-christianity.net